اللعبة الكبرى

محمود راضي جلال

اللعبة الكبرى

اسم الكتاب: اللعبة الكبرى
النوع: رواية
الكاتب: محمود راضي جلال
منسق داخلي: فاطمة محمد
تصميم الغلاف: فاطمة محمد
الناشر: دار ياقوت للنشر والتوزيع

جميع الحقوق محفوظة لدى الكاتب ودار النشر ويمنع التصوير والنسخ، ومن يفعل ذلك يعاقب قانوني

الفصل الأول

قبل أن يُخلق العذر
في بداية العالم لم يكن الشر غريبًا، ولم يكن الخير نقيًا.
كان البشر والشياطين يسيرون جنبًا إلى جنب، لا حرب، ولا خوف، ولا حاجة للاختباء خلف أسماء مقدسة.
الخوف من المجهول هو ما دفعهم للاختراع:
اختراع الذنب، ثم اختراع العذر.
أما أنا...
فلم أُخلَق هاربًا.
أنا الذي هربتُ من عالمي حين اكتشفت حقيقتهم.
أنا هو ذاته وتكوينه.
ما تسمونه أنتم إله الشر، لا لأنني اخترت ذلك،
بل لأنكم احتجتم إلى اسمٍ تلقون عليه أفعالكم.
تقولون إنني أوسوس.
لكنكم تقتلون دون أن أهمس.
تزنون دون أن أقترب.
تذبحون بعضكم بعضًا،
ثم ترفعون رؤوسكم إلى السماء وتقولون:

«الشيطان أغوانا».
كذبة جميلة.
مريحة.
تُبقي أيديكم نظيفة في خيالكم فقط.
الشر لا يأتيكم من الخارج.
الشر يجري في عروقكم، يسكن دماءكم،
وينتقل بينكم كما تنتقل الوراثة.
أنتم أبناء آدم، تعيشون الوهم الأبدي بأن لكم قيمة،
بأنكم محور الحكاية، وبأن السماء تراقبكم بإعجاب.
في نظري...
أنتم مجرد تجربة خرجت عن السيطرة.
أنا لم أعلّمكم الشر.
أنا فقط منحتكم الكلمات.
أما الخطايا، فقد سبقتموني إليها بشغف يثير الإعجاب.
ثم جاء الموت الثاني.
قالت إن الحب موجود.
ضحكت.
الحب عندكم ليس سوى
حسد مقنّع، ورغبة مهذبة،
وطلب للمتعة باسم المشاعر.
أنتم لا تحبون، أنتم تستهلكون.
وأنا؟
أنا أعيش بينكم.
أراكم عن قرب.

أعرف كيف تفكرون حين لا يراكم أحد.
وأعرف كم يسهل عليكم أن تكونوا وحوشًا...
ثم تبكوا بعدها.
صدقوني، لو كنتُ شريرًا كما تصفونني،
لما احتجت إلى فعل شيء.
أنتم تقومون بالمهمة عني
بإتقانٍ يفوق الخيال.

الفصل الثاني

جسد من لحم... وظل من نار لم أُولد هكذا.
هذه أول كذبة صدّقتها عن نفسي.
الحقيقة أنني وُلدت إنسانًا، مثلهم تمامًا.
جلد، عظام، قلب يخفق خوفًا ورغبة.
كنت أبكي حين أتألم، وأضحك حين أُخدع بالفرح.
لكنني كنت ألاحظ أكثر مما ينبغي.
في المدرسة، كنت أرى الطفل الذي يسرق، ثم يتهم غيره.
أرى المعلم الذي يعاقب بقسوة، ثم يصلي بخشوع.
أرى الأب الذي يضرب ابنه، ثم يقبّل رأسه ليلًا كأنه لم يفعل شيئًا.
كنت أرى التناقض...
ولا أفهم لماذا لا يراه أحد.
قالوا لي: "الدنيا كده."
لكنني لم أقتنع.
كبرتُ، وكبر السؤال داخلي.
إن كان البشر طيبين كما يدّعون، فلماذا يحتاجون دائمًا إلى شماعة؟
لماذا يبحثون عن اسم يعلّقون عليه أفعالهم؟
وفي إحدى الليالي، حدث الأمر.
لم تكن نارًا نزلت من السماء، ولا صوتًا اخترق الغرفة.
كان الأمر أبسط... وأخطر.
كنت أجلس أمام المرآة، أحدّق في وجهي بعد يوم طويل من العمل.
يوم آخر رأيت فيه مديرًا يسرق مجهود موظف،

ورجلًا متزوجًا يبتسم لفتاة صغيرة بعينين جائعتان،
وصديقة تخون سرّ صديقتها مقابل فرصة.
نظرت في المرآة وقلت:
_ إن لم أكن أنا الشر... فمن يكون؟
ضحكت.
لم تكن ضحكة مجنونة.
كانت ضحكة إدراك.
في تلك اللحظة، شعرت بشيء يتغير داخلي.
ليس جسدي، بل زاوية النظر.
لم أعد أرى نفسي ضحية عالم قاسٍ.
بدأت أرى نفسي شاهدًا... ثم قاضيًا.
ومنذ ذلك اليوم، صرت أراقبهم بفضول مختلف.
في العمل، كنت أجلس بينهم كأنني واحدة منهم.
أهز رأسي موافقة.
أشاركهم النكات.
واستمع لشكواهم من الظلم.
لكنني كنت أعرف شيئًا لا يعرفونه:
أن كل واحد منهم ينتظر فرصة صغيرة... فقط صغيرة...
ليصبح أسوأ نسخة من نفسه.
كنت اختبرهم أحيانًا.
أترك باب الخطأ مفتوحًا قليلًا.
ازرع فكرة عابرة.
أراقب كيف تنمو.
وهم ينمون.

لم أكن أجبر أحدًا.
كنت فقط أزيل القناع.
ومع الوقت، بدأت أصدق أنني لست إنسانًا عاديًا.
أنني لست مجرد شاهدة.
ربما كنتُ المرآة التي يخافون النظر إليها.
وربما... كنت شيئًا آخر.
لكن السؤال الحقيقي لم يكن:
هل أنا شيطان؟
السؤال كان:
لماذا أشعر أنني أقرب إليهم من أي شيطان؟
في تلك الليلة، عدت إلى بيتي متأخرة.
جلست في الظلام دون أن أشعل الضوء.
سمعت همسًا خافتًا في داخلي:
"أنتِ لا تختلفين عنهم."
إبتسمت
— أعرف.
قلت.
"إذن لماذا تدّعين العلوّ عليهم؟"
لم أجب فورًا.
لأول مرة منذ زمن، شعرت بشيء يشبه الشك.
هل كنتُ أهرب من ضعفي، فأرتدي قناع القوة؟
هل أنا حقًا كيان فوق البشر...
أم إنسانة تجاوزت الحد، ولم تجد تفسيرًا لما فعلت، فاخترعت أسطورة؟

أغمضت عيني.
وفي العتمة، لم أرَ نارًا،
ولا أجنحة، ولا ظلالًا سوداء.
رأيت فقط نفسي.
وهذا كان أكثر ما أخافني.
هنا بدأ الشك.
هل هو:
شيطان يتذكر أنه كان إنسانًا؟
إنسان يبرر شروره بادعاء الألوهية؟
أم عقل يتشقق تحت وطأة الإدراك؟

الفصل الثالث

التجربة الأولى

لم أعد أكتفي بالمراقبة.

المراقبة تمنحك معرفة، لكنها لا تمنحك يقينًا.

كنت أريد أن أعرف:

هل البشر أشرار بطبعهم فعلًا؟

أم أنني أرى ما أريد رؤيته فقط؟

وفي صباح يوم الثلاثاء، قررت أن أختبرهم.

الضحية لم تكن غريبة.

كانت الأقرب إليّ.

مريم.

مريم التي تؤمن بأن العالم، رغم قسوته، يحمل في داخله عدلًا خفيًا.

مريم التي تصدق الاعتذارات، وتثق بسهولة، وتقول دائمًا إن "النية الطيبة تكفي".

كنت أعرف نقطة ضعفها.

الجميع لديهم نقطة ضعف.

هي كانت تخاف أن تُستبعد... أن تُهمَّش... أن تُنسى.

في الشركة، كان هناك مشروع جديد، فرصة للترقية، لزيادة الراتب، وللانتقال إلى مكتب أفضل. المدير كان مترددًا بيني وبينها.

لم أفعل شيئًا مباشرًا.

لم أكذب.

لم أختلق قصة.

فقط... همست في المكان المناسب.

في اجتماع صغير، قلت بهدوء:
— مريم ممتازة، لكن أظنها تتأثر بالضغط بسرعة. المشروع ده محتاج حد ثابت.
جملة واحدة.
لا اتهام صريح، لا طعن واضح.
لكن الجملة، مثل بذرة، وُضعت في تربة جاهزة.
بعد يومين، استدعاني المدير.
— أنا اخترتك.
قالها وهو يوقع القرار.
— بصراحة، محتاجين شخصية أقوى.
ابتسمت.
شكرته.
خرجت.
لم أشعر بالذنب.
كنت أراقب.
في المساء، جاءت مريم إليّ بعينين حائرتين.
— هو أنتِ قلتي حاجة عني؟
سألت بصوت منخفض.
نظرت إليها طويلًا.
كانت تلك لحظة حاسمة.
يمكنني إنكار الأمر.
يمكنني الإعتراف.
يمكنني الإعتذار.
لكنني اخترت شيئًا آخر.

— أنا بس قلت إن المشروع محتاج حد يتحمل ضغط كبير.
قلت بهدوء.
— وده مش عيب.
ارتجف شيء في عينيها.
ليس غضبًا... بل خيبة.
— يعني شايفة إني ضعيفة؟
همست.
صمتٌ.
الصمت أحيانًا أقسى من الإجابة.
غادرت المكتب دون كلمة أخرى.
في تلك اللحظة، انتظرت الصوت.
انتظرت أن يقول لي:
"أحسنتِ."
أو "هكذا يبدأ السقوط."
لكنه لم يتكلم.
عدت إلى بيتي، وجلست أمام المرآة.
— هل هذا كل شيء؟
قلت لانعكاسي.
— جملة واحدة، وسقطت ثقتها؟
حدقت في نفسي طويلًا.
هل كنتُ أنا من دفعها؟
أم أن الخوف الذي يسكنها كان مستعدًا للانفجار؟
رنّ هاتفي في منتصف الليل.
رقم مريم.

ترددت لحظة، ثم أجبت.
صوتها كان مختلفًا.
— أنا... أنا محتاجة أقولك حاجة.
قالت، وصوتها يرتجف.
— أنا عملت حاجة غبية.
شعرت بقشعريرة باردة.
— ماذا فعلتِ؟
سألت.
صمتت، ثم قالت:
— دخلت على إيميل المدير...
كنت عايزة أشوف لو حد اشتكى مني...
أنا... أنا كسرت كلمة السر.
أغمضت عيني.
لم أطلب منها ذلك.
لم ألمّح حتى.
لكنها فعلت.
— لقيت حاجات...
أكملت بصوت مختنق.
— حاجات مش نظيفة.
ابتسمت دون أن أشعر.
التجربة لم تفشل.
لم أزرع الشر فيها.
أنا فقط لم أوقفه.
— ماذا ستفعلين؟

سألتها.
تنفست بعمق.
ـــ مش عارفة...
بس حاسة إني لو سكت... هبقى مشاركة.
سكتُّ.
في تلك اللحظة، عاد الصوت أخيرًا.
"أرأيتِ؟
أنتِ لا تخلقين الشر.
أنتِ فقط تفتحين الباب."
لكن سؤالًا آخر تسلل إلى داخلي، أقسى من كل ما سبق:
ماذا لو كانت هي الآن تفتح بابًا... لي؟
أنهت المكالمة دون قرار واضح.
وضعت الهاتف جانبًا.
لأول مرة، شعرت بشيء يشبه القلق.
إن كانت التجربة نجحت، فهي خرجت عن سيطرتي.
وإن كانت فشلت، فأنا لست أكثر من إنسانة تؤذي من حولها لتثبت نظرية.
نظرت في المرآة مرة أخرى.
لم أرَ شيطانًا.
لم أرَ قديسة.
رأيت شخصًا بدأ لعبة...
أكبر منه.
وفي مكان ما داخل الظلام، لم أعد متأكدة.
إن كان الصوت صوتي، أم أنني بدأت أصدقه فقط

الفصل الرابع

السقوط الذي لم أرتبه
في صباح اليوم التالي، لم تأتِ مريم إلى العمل.
لم أندهش في البداية.
ظننتها تحتاج إلى وقت لتفكر، لتتراجع، لتدفن ما رأته في البريد الإلكتروني.
بعض الناس يختارون السلامة سريعًا.
لكن في الساعة العاشرة، تغيّر وجه المدير.
خرج من مكتبه على غير عادته، يتحدث في الهاتف بصوت منخفض، وملامحه مشدودة. المكتب كله شعر بالتوتر قبل أن يعرف السبب.
اقتربت من حسام.
— ماذا يحدث؟
سألته.
خفض صوته.
— مريم...
ثم توقف لحظة، وكأن الكلمة ثقيلة.
— عملت حادثة.
شعرت بأن الأرض تميل قليلًا.
— حادثة ماذا؟
— سيارة. الفجر تقريبًا.
سيارتها انقلبت على الطريق الدائري.
الصوت في داخلي صمت.
صمت كامل.
— هي بخير؟

سألت، وأنا أكره ارتجاف نبرتي.
— لا أحد يعرف. في المستشفى الآن.
لم أتحرك.
لم أركض.
لم أصرخ.
وقفت فقط... أفكر.
الفجر.
أي بعد مكالمتنا بساعات قليلة.
هل كانت تقود وهي تفكر؟
هل كانت تبكي؟
هل كانت خائفة؟
هل كنتُ أنا آخر صوت سمعته؟
في المستشفى، الرائحة حادة، بيضاء، معقمة حد القسوة.
الناس يمشون بسرعة، كأن الحياة يمكن إنقاذها بالإسراع.
رأيت والدتها أولًا.
وجهها شاحب، عيناها متورمتان من البكاء.
— كانت بتقول اسمك.
قالت لي فجأة، دون مقدمات.
— قبل ما تدخل العمليات.
تجمدت.
— ماذا قالت؟
سألت.
— كانت بتقول... "الملف... قولوا لها... تمسحه."
شعرت بشيء بارد يخترق صدري.

الملف.
لم أطلب منها أن تفعل شيئًا.
لم أقل لها تواجه أحدًا.
لم أُجبرها على القيادة فجرًا.
لكن فكرة واحدة كانت تدور في رأسي:
لو لم أفتح الباب...
هل كانت ستدخل؟
جلست في الممر وحدي.
عاد الصوت أخيرًا.
"هذا ليس ذنبك."
رفعت رأسي.
— ومن قال إنه ذنب؟
همست.
"أنتِ لم تدفعيها.
هي اختارت."
أغمضت عيني.
نعم، هي اختارت.
كما اخترتُ أنا.
لكن هناك فرقًا بسيطًا بين الاختيار والنتيجة.
أنا كنت ألعب.
هي سقطت.
في المساء، وصلتني رسالة من رقم غير مسجل.
"نعرف أنكِ زرعتِ الفكرة.
لو تكلمتِ... سنتكلم."

توقفت أنفاسي للحظة.
من؟
هل قرأ أحدهم الرسائل؟
هل كانت مريم تتحدث مع شخص آخر؟
هل هناك من يراقبنا منذ البداية؟
هذه ليست تجربة بعد الآن.
هذه شبكة.
وشيء ما يتحرك في الظل…
أسرع مني.
لأول مرة منذ بدأتُ لعبتي، لم أشعر بالقوة.
شعرت بأنني مكشوفة.
عدت إلى بيتي تلك الليلة، ووقفت أمام المرآة.
— هل أنا شيطان؟
سألت بصوت مسموع.
الانعكاس لم يجب.
لكنني رأيت شيئًا جديدًا في عينيّ:
الخوف، وهو شعور لا يعرفه الشيطان…
بل يعرفه البشر فقط.
الآن اللعبة انقلبت:
مريم في المستشفى
رسالة تهديد غامضة
هناك طرف ثالث في الظل
البطلة لم تعد مسيطرة
الشك في هويتها يتعمق أكثر

الفصل الخامس

الأبواب التي لم تُغلق
الخبر الأول وصلني في الصباح.
ليس من مدير الشركة، ولا من مريم، ولا حتى من الشرطة.
وصل من بريد إلكتروني مجهول، بلا اسم، بلا توقيع:
“الحادث لم يكن صدفة. اعلمي أن اللعبة بدأت.”
قرأت الجملة عدة مرات.
بدأت اليدان ترتجفان، لكن ليس خوفًا... بل إدراكًا:
أنا لم أعد من يراقب.
أنا لم أعد من يقرر.
ذهبت إلى المستشفى لأرى مريم.
الغرفة شبه مظلمة، أجهزة مراقبة تحيط بها، صوت صفير كل جهاز يجعل القلب يتوقف لحظة.
كانت مريم نائمة، وجهها شاحب، تتنفس بصعوبة.
على الطاولة بجانب السرير، كان هناك ظرف.
مكتوب عليه: “افتحي إذا أردتِ أن تعرفي الحقيقة.”
فتحت، وكان داخله قرص مضغوط قديم الطراز.
على الغلاف: “المستوى الأول”
شعرت بقشعريرة.
هذا أسلوب أحدهم، ليس مجرد تهديد.
شخص يعرفني... يعرف ما أفعله... يعرف نقاط ضعفي... وربما نقاط قوتي.
عدت إلى البيت، وجلست أمام المرآة.
كان الضوء ضعيفًا، والظلال تلعب على وجهي.

أدركت شيئًا لم أفكر فيه من قبل:
الحادث لم يكن مجرد لعبة.
مريم لم تسقط وحدها.
هناك من يراقب كل خطوة...
ومن يراقبني يعرف كل شيء، حتى ما لم أفعله بعد.
فتحت القرص على الحاسوب.
ظهرت شريط فيديو قصير.
الصورة مشوشة، لكن الصوت واضح:
— هل تعتقدين أنك الوحيدة التي تعرف كل شيء؟
عرفت الصوت فورًا.
لم يكن غريبًا.
لكن لم أره من قبل.
— من أنت؟
همست، وأنا أشعر بالارتجاف.
— أنتِ تعتقدين أنك إلهاً...
— لكننا صنعنا اللعبة قبل أن تعرفي أنها بدأت.
في الشريط، كانت مريم... لا، ليست مريم.
كانت نسخة منها...
لكن شيئًا ما في عينيها مختلف... عميق... شرير... أو متألم؟
— هذه البداية فقط، قالت الصوتية.
— وكل ما فعلته حتى الآن... جزء من اختبارنا.
جلست عاجزة عن الحركة.
كل شيء بدأ ينقلب.

التجربة التي كنتُ أعتقد أنها تحت سيطرتي، الآن تتحرك خارج نطاقي.
الصوت الغامض يعرف كل شيء عني.
مريم في المستشفى... لكن حادثها ليس ما يبدو.
أدركت شيئًا أخيرًا:
ليس الشيطان من يجب أن أخافه.
ولا حتى البشر.
إنه من صنع اللعبة... وبدأ الآن يكشف أوراقه.
وفي هذا اللحظة، لأول مرة، شعرت بأنني لست من يقرر.
لأول مرة، شعرت بالخطر الحقيقي.

الفصل السادس

مرآة بلا وجه

استيقظت على صوت المطر وهو يطرق الزجاج بقوة.
في الخارج، المدينة كانت رمادية، ضبابية، كأن العالم كله يشارك شعوري.
جلست على حافة السرير، أحاول جمع أفكاري.
لكنها تفرّقت فور أن تذكرت القرص، الشريط، الصوت الغامض، ومريم.
كل شيء انقلب.
نظرت إلى المرآة.
لم أعد أعرف من أنظر إليه.
هل هذه أنا؟
أم نسخة مشوهة، محاصرة في لعبة أكبر مني؟

بدأت الأسئلة تتراكم، واحدة تلو الأخرى، مثل الحجارة الثقيلة على صدري:

هل أنا أصلًا إنسان؟

أم كنت دائمًا أله الشر الذي تخاف منه البشرية؟

هل مريم ضحية، أم جزء من خطة أكبر لم أفهمها بعد؟

هل هناك من يراقبني الآن؟

وهل كل خطوة أخطوها ستؤدي إلى انهيار لا رجعة فيه؟

الهواء أصبح ثقيلاً.

الأصوات في الشقة بدت أقرب، أحيانًا كأنها تهمس باسمي.

حتى الظلال على الجدار بدأت تتحرك، كأنها تحاول إخبار شيء... أو تحذيري.

بدأت أرى انعكاسًا آخر في المرآة.

ليس وجهي، بل وجوهًا متفرقة، كل واحدة تقول شيئًا مختلفًا:

واحدة تبكي

واحدة تضحك، واحدة تهدد

وأخرى تصمت، تحدق بي، صامتة، لكن وكأنها تعرف كل شيء عني.

جلست على الأرض، أصابع يدي ترتجف، أنفاسي تتقطع.

أدركت أنني فقدت السيطرة.

الواقع لم يعد واضحًا.

الهوية تتلاشى بين ما أعرفه وما يُفرض عليّ.

الصدمة الحقيقية لم تكن حادث مريم، ولا الرسالة، ولا الصوت.

الصدمة كانت في معرفة أنني لست المسيطرة على اللعبة.

الفصل السادس

مرآة بلا وجه

استيقظت على صوت المطر وهو يطرق الزجاج بقوة.
في الخارج، المدينة كانت رمادية، ضبابية، كأن العالم كله يشارك شعوري.
جلست على حافة السرير، أحاول جمع أفكاري.
لكنها تفرّقت فور أن تذكرت القرص، الشريط، الصوت الغامض، ومريم.
كل شيء انقلب.
نظرت إلى المرآة.
لم أعد أعرف من أنظر إليه.
هل هذه أنا؟
أم نسخة مشوهة، محاصرة في لعبة أكبر مني؟
بدأت الأسئلة تتراكم، واحدة تلو الأخرى، مثل الحجارة الثقيلة على صدري:
هل أنا أصلًا إنسان؟
أم كنت دائمًا أله الشر الذي تخاف منه البشرية؟
هل مريم ضحية، أم جزء من خطة أكبر لم أفهمها بعد؟
هل هناك من يراقبني الآن؟
وهل كل خطوة أخطوها ستؤدي إلى انهيار لا رجعة فيه؟
الهواء أصبح ثقيلاً.
الأصوات في الشقة بدت أقرب، أحيانًا كأنها تهمس باسمي.
حتى الظلال على الجدار بدأت تتحرك، كأنها تحاول إخبار شيء... أو تحذيري.
بدأت أرى انعكاسًا آخر في المرآة.

ليس وجهي، بل وجوهًا متفرقة، كل واحدة تقول شيئًا مختلفًا:
واحدة تبكي
واحدة تضحك
واحدة تهدد
وأخرى تصمت، تحدق بي، صامتة، لكن وكأنها تعرف كل شيء عني
جلست على الأرض، أصابع يدي ترتجف، أنفاسي تتقطع.
أدركت أنني فقدت السيطرة.
الواقع لم يعد واضحًا.
الهوية تتلاشى بين ما أعرفه وما يُفرض عليّ.
الصدمة الحقيقية لم تكن حادث مريم، ولا الرسالة، ولا الصوت.
الصدمة كانت في معرفة أنني لست المسيطرة على اللعبة.
جلست فترة طويلة أراقب نفسي.

كل فكرة عن قوتي، كل اعتقاد أنني أتحكم، انهارت.
كل ما فعلته حتى الآن... قد يكون مجرد خطوة في خطة لم أكن أراها.
وعندما حاولت الاتصال بأي شخص...
لا أحد رد.
الموبايل صامت.
العالم صامت.
حتى نفسي صمتت... إلا من الصوت الداخلي، الذي لم أعد أميزه: هل هو أنا... أم هو آخر يضحك مني؟

وفي تلك اللحظة، أدركت الحقيقة:
الانهيار ليس لحظة واحدة، بل سلسلة متصلة من الاكتشافات.
أنا لم أفقد السيطرة بعد...
لكنني شعرت لأول مرة أن كل شيء حولي، كل شخص، كل حركة، يمكن أن يكون أداة ضدي.
وهكذا بدأت اللعبة الحقيقية.
ليست مجرد اختبار، ليست مجرد تجربة.
إنها رحلة داخل نفسي،
حيث كل مرآة قد تكشف وجهًا لم أعرفه،
وحيث كل خطوة قد تؤدي إلى الهاوية.

الفصل السابع

الظل الذي يراقب

استيقظت على صوت رنين هادئ، لكنه لم يكن الهاتف.

كان شيئًا مختلفًا... أصوات خفيفة في أركان الغرفة، كأنها خطوات صغيرة، ثقيلة، متعمدة.

جلست على السرير، أتنفس بصعوبة.

الضوء الخافت من الخارج لا يكفي ليكشف شيئًا... لكن الظلال تحركت أمامي.

ثم جاء الصوت، واضحًا هذه المرة، من لا أعرف أين:

— هل ما زلتِ تعتقدين أنكِ المسيطرة؟

ارتجفت.

لم أسمع أي شخص يدخل، لكن الصوت كان قريبًا جدًا، داخل رأسي، في قلبي.

لم يكن غاضبًا، ولم يكن ودودًا.

كان... مركزًا، مطلعًا على كل شيء.

— من أنت؟

همست، والدعوة للرد فارغة.

من يراقبك منذ البداية... ومن يعرف كل خطوة تفكرين. بها.

رعشة تمر في جسدي.

لم أعد أعرف إذا كان الصوت خارجًا أم داخليًا.

هل أنا من يبتكر هذا الصوت... أم أنني فقط أسمعه؟

هاتف على الطاولة يرن.

رقم مجهول.

أنا أعرف أنه ليس مريم.

أعرف أن الرد يعني الدخول أكثر في اللعبة.

أخذت الهاتف. ضغطت على زر الرد:
— من هناك؟
— من يظن أنه يعرفك... لكنه لن يعرف إلا بعد أن يراكِ تنهارين.
قال الصوت، وكان أقرب، أكثر وضوحًا.
فجأة، ضوءٌ أحمر خفيف بدأ يملأ الغرفة.
كان قادمًا من نافذتي، رغم أن المدينة مظلمة.
ظل طويل يتحرك في الخارج... يقترب، يبتعد، يختفي.
— هل ترى الظل؟
سأل الصوت، وكأنه يقرأ تفكيري.
— إنه أنتِ.
— لا... أنا...
تلعثمت، لكن كلماتك كانت ضعيفة أمام الحقيقة:
ظل لم أره من قبل... لكنه يعرفني... ويعرف كل شيء.
جلست على الأرض، أصابع يدي ترتجف، وعيناي تتشبثان بالظل.
الآن فهمت:
الحادث لم يكن صدفة.
الرسالة لم تكن تهديدًا فقط.
اللعبة لم تعد تحت سيطرتي... بل كنت جزءًا منها منذ البداية.
— لماذا...؟
سألت بصوت ضعيف.

— لماذا كل هذا؟
— لتعرفي... من أنتِ حقًا،
قال الصوت، ببطء،
— ولتدركي... أن كل اختيار لديكِ كان مراقبًا، محسوبًا، وموجَّهًا.
المرآة أمامي تعكس وجهي، لكنني لا أرى نفسي.
أرى كل الخطوات التي اتخذتها، كل لعبة صغيرة اعتقدت أنها بيدي، كل قرار... وكل سقوط محتمل.
أدركت الآن: الانهيار الذي شعرت به كان مجرد البداية.
الحقيقة أكبر، أوسع، وأكثر وحشية.
هناك من يراقبني، يختبرني، ويقرر كل شيء.
أنا لم أعد أشريرة متحكمة...
أنا مجرد قطعة على لوحة أكبر،
ولا أعرف إن كنت سأنجو من السقوط، أم سأصبح مجرد ظل آخر، يتحرك في اللعبة التي لم أخلقها.

الفصل الثامن

بداية الصيد
في الليلة التالية، لم أنم.
كل شيء بدا هادئًا من الخارج، لكن في داخلي، كان هناك زلزال مستمر.
الضوء الخافت من الشارع ينسكب على الأرض، يرسم خطوطًا طويلة... وكأنها أسلاك مشبكة، تسحبني نحو قرار لم أفكر فيه قبل الآن.
جلست أمام المرآة، أنظر في عينيّ.
أرى التعب، الخوف، الغضب، الإدراك.
ثم أدركت شيئًا واحدًا واضحًا:
لن أكون بعد اليوم مجرد مراقبة.
لن أكون لعبة بيد أحد آخر.
بدأت بتحليل كل ما حدث.

حادثة مريم لم تكن صدفة ← شخص يراقبنا
الرسائل المجهولة ← تحذير، تهديد، تحدٍ
الصوت في الغرفة والظل ← مراقبة مستمرة، اختبار
كل ذلك لم يكن مجرد تحذير... بل دعوة.
دعوة للانقضاض، للرد، للتحكم... للانتقام.
صنعت قائمة.
لا أحد يعرفني كما أعرف نفسي الآن.
لا أحد يعرف كيف أفكر، أو كيف أختار، أو كيف أصمت... ثم أضرب.

بدأت بجمع المعلومات عن الجميع:
المكاتب، من يراقب من، من يتحدث مع من، من يخاف، من يخطط، من يكذب.
كل رسالة، كل ورقة، كل حركة على البريد الإلكتروني... كل شيء سجلته، محلّلته، حفظته.
كنت أتحرك مثل الظل.
المدينة، المكاتب، حتى الممرات المظلمة في الشقة، كلها أصبحت ملعبًا لي.
ثم جاء الاختبار الأول.
شخص مجهول حاول الاقتراب من مريم ثانية، هاتفها في يده، يفتح الملفات، يرسل رسائل مهددة.
في الماضي، كنت سأراقب فقط.
الآن، كنت مستعدة.
اقتربت منه في الظلام، خطواتي صامتة، قلبي هادئ.
لم يكن هناك أي خوف، لم يكن هناك تردد...
كان هناك شعور نادر: السيطرة المطلقة.
أمسكته من الكتف.
نظر إليّ، وجهي كان مجرد انعكاس، لا يصدق أنني موجودة.
— من أنتِ؟
سأل بصوت مرتجف.
ابتسمت.
ابتسامة باردة، بلا شعور، بلا رحمة.
— أنا النهاية لكل من يحاول اللعب معي.
قلت.

ـــ وأنت... مجرد درس أول.
الليلة كانت طويلة.
لم أقتل، لم أؤذِ بشكل مباشر... لكن كل حركة، كل تهديد، كل رسالة كانت تحت سيطرتي.
الظل الذي كان يراقبني أصبح الآن يتحرك معي.
لم يعد يقرر عني... بل أسيطر على ما يحدث، أوجّه كل شيء بدقة قاتلة.
في المرآة، وجهي لم يعد نفس الوجه.
هذه المرة، عينيّ كانت مختلفة.
عميقة، حادة، مركزة...
وجه لا يرحم، وجه يمكن أن يكون أداة انتقام،
وجه يمكن أن يردع كل من يخطط ضدّي، ويزرع الرعب في كل قلب.
أدركت لحظة واحدة:
لم أعد مجرد لعبة، لم أعد مجرد ضحية، ولم أعد مجرد شاهد.
أنا من أصبح الصيّاد.
أنا من يقرر.
أنا من يصنع الرعب.
واللعبة الحقيقية بدأت الآن.

الفصل التاسع

الشبكة الكبرى
بعد أن أصبحت الصيّاد، شعرت بقوة جديدة تتدفق في داخلي.
لكن هذه القوة لم تكن كاملة.
كانت هناك فجوات، مساحات مظلمة في اللعبة، لم أفهمها بعد.
بدأت بالتحقيق في كل شيء:
البريد الإلكتروني المجهول
القرص المضغوط الغامض
الظل الذي يظهر ويختفي
حادثة مريم
كل خيط من هذه الخيوط كان يقودني إلى شبكة أكبر، أوسع، أعمق.
وفي إحدى الليالي، وجدت ملفًا مخفيًا في البريد الإلكتروني.
ملف ضخم، مشفر، يحتوي على آلاف الرسائل والصور ومقاطع الفيديو.
فتحت أول رسالة... وكانت صادمة:
— "مرحلة التجربة بدأت منذ ولادتك. كل خطوة، كل قرار، كل خطأ، كل اختيار... محسوب مسبقًا."
الصدمة ارتدت في داخلي.
لم أعد أنا من يختار،
لم أعد أنا من يقرر،
كنت... جزءًا من خطة طويلة، معقدة، تفوق كل شيء شاهدته في حياتي.
الملف التالي كشف شيئًا أكبر:

هناك منظمة، لا أعرف عدد أفرادها،
تراقب البشر منذ عقود،
تدرسهم، تُصنع الأحداث لهم، تحركهم كقطع على رقعة شطرنج.
حادث مريم؟
لم يكن مجرد اختبار لي.
كان جزءًا من سلسلة طويلة من التجارب،
وكل شيء كنت أفعله، كل خطوة أخذتها، كل لعبة صغيرة لعبتها...
تم توجيهها مسبقًا، وربما كانت متوقعة منذ البداية.
ظهر الصوت مرة أخرى، هذه المرة من داخل الملف:
— هل تعتقدين أنك وحدك؟
— كل ما فعلتِ، كل ما شعرتِ به، كل سقوط... جزء من برنامج أكبر.
وفي الفيديو التالي، رأيت مريم... ليست كما عرفتها.
كانت نسخة من المراقبة،
كل حركة لها، كل دمعة، كل شعور... مسجل ومحلل بدقة.
الآن فهمت:
أنا لست وحدي في اللعبة.
كل شيء حولي... جزء من شبكة مراقبة ضخمة.
كل تجربة، كل اختبار، كل سقوط، كل انتقام... مخطط مسبق.
وحتى قوتي الجديدة، الصيادة... لم تكن من اختياري بالكامل.
الصدمة الأكبر لم تكن في حجم المؤامرة،
بل في إدراك أنني بدأت أستمتع بالقوة، بالرعب، بالتحكم...

وأن هذا الإحساس... قد يكون بالضبط ما توقعه هؤلاء المراقبون مني.
جلست في الظلام، أنفاسي تتقطع، عينيّ تراقب شاشة الكمبيوتر، كل كلمة، كل صورة، كل حركة.
أدركت شيئًا آخر:
المواجهة الحقيقية ليست مع مريم،
ولا مع أي شخص آخر.
المواجهة الحقيقية مع من صنع هذه اللعبة، ومن زرع الظل الذي يراقبني، ومن صاغ القواعد التي لم أرها بعد.
الآن بدأت اللعبة الحقيقية.
ولن تكون فيها مراوغة، ولا صمت، ولا تجاهل.
الآن، كل شيء... مفتوح.

الفصل العاشر

الوجه في الظل

المكان كان مهجورًا، مبنى قديم في أطراف المدينة، نافذاته مغطاة بالغبار،
والهواء فيه ثقيل، يمزج بين الرطوبة والغبار.
عرفت أن هذا هو المكان الذي اختاره الطرف الثالث لمقابلتي.
لم يكن مكالمة هاتفية، ولا رسالة مشفرة... بل مواجهة وجهاً لوجه.
دخلت، خطواتي صامتة، عيناي تلتقطان كل زاوية وكل ظل.
الظلام كان صديقًا، لكنه أيضًا عدوّ.
ثم ظهر.
رجل طويل القامة، يلبس معطفًا أسود، وجهه مخفي جزئيًا في الظل، عيناه تتلألأ بالمعرفة والخبرة.
ابتسم ابتسامة باردة، لا تعبر عن مرح... بل عن من يعرف اللعبة من البداية حتى النهاية.

— كنتِ تتوقعين أن يكون الأمر سهلاً، أليس كذلك؟
قال بصوت هادئ، لكنه أثقل من الرصاص.
لم أتحرك.
لم أتكلم.
كنت أراقبه، أدرس كل حركة، كل نبرة صوت، كل شامة على وجهه... كل شيء يمكن أن يكون سلاحًا أو فخًا.
— من أنت؟
سألت، أخيرًا.

ـــ وهل تهمك الإجابة؟
قال وهو يخطو خطوة إلى الأمام.
ـــ أنتِ تعتقدين أنكِ تسيطرين على كل شيء، لكن كل خطوة خططنا لها منذ البداية.
شعرت بغضب يتأجج داخليًا، ليس خوفًا، بل تحديًا.
ـــ كل شيء قد خططتم له... أنا اكتشفه الآن.
قلت بصوت ثابت، لكن قلبي ينبض أسرع.
ـــ وكل من يقف أمامي، سيكتشف أنني لست الضحية.
ابتسم الرجل.
ـــ جميل.
قال.
ـــ لكنك لا تعرفين قواعد اللعبة كلها بعد.
في تلك اللحظة، أدركت شيئًا: هذا ليس مجرد خصم.
هذا هو الظل الذي يراقبني منذ البداية.

كل حادثة، كل رسالة، كل اختبار... جزء منه.
اقترب، وأخرج ملفًا آخر، أكثر سمكًا، أكثر خطورة.
ـــ كل ما فعلته حتى الآن، كل انتقامك، كل خطوة، كل لعبة صغيرة... كانت مراقبة.

ـــ وحتى هذه اللحظة، كل شيء تحت أعيننا.
التفت إلى جانبي فجأة، خطواته تتحرك مثل الصمت نفسه، ثم عاد ليقابلي مباشرة.
ـــ الآن... يمكننا أن نرى من سيفوز.

ابتلعت ريقي.
كل شيء بدا واضحًا الآن: أنا لم أعد مجرد مراقبة، ولا مجرد صيادة،
بل قطعة على رقعة شطرنج ضخمة...
والآن بدأ اللعب الحقيقي.
لكن هذه المرة، لم أعد أضعف.
كل شيء تعلمته خلال الانهيار، خلال الصيد، خلال معرفة الأسرار...
كل شيء أصبح سلاحي.
ابتسمت له.
— إذا كانت هذه لعبة، فلن أكون مجرد قطعة.
قلت.
— سأكون اللاعب الذي لن يراه أحد قادمًا.
الظل في عينيه تغير.
ابتسم، لكن بطريقة مختلفة.
— جميل... دعينا نرى.

الفصل الحادي عشر

رقصة الظلال

المكان كان مظلمًا، المبنى القديم لا يزال يئن من صدى خطواتنا.

الهواء ثقيل، يضغط على صدري، كأنه يعرف أن هذه المرة لا مجال للهرب.

الطرف الثالث وقف أمامي، واقفًا بلا أي توتر، يراقب كل حركة، كل تنفس، كل نظرة.

ابتسم ابتسامة باردة، كما لو أنه يعرف كل شيء عني قبل أن أفكر به.

— هل تعتقدين أنك قوية بما يكفي لتواجهيني؟

سأل، صوته سلس، لكنه يثقل المكان كله.

نظرت إليه مباشرة، لم أتحرك خطوة إلى الوراء.

— القوة ليست بما أملكه الآن، بل بما لم تتوقعه.

قلت بصوت هادئ، لكن فيه حزم قاتل.

ابتسم، وقال:

— جميل. لكن اللعبة لم تبدأ بعد.

بدأ يتحرك ببطء، خطواته تحاكي الظل نفسه،

أنا أتبع كل حركة، كل ميلان، كل تغير في وزنه،

أراقب كل شيء، كما علّمت نفسي خلال الشهور الماضية.

— كل ما فعلته حتى الآن كان جزءًا من اختبارنا...

قال، ولمحت في عينيه لفتة من التهديد.

— حتى انتقامك كان محسوبًا.

ابتسمت بلا خوف.

— إذا كان كل شيء محسوبًا، فهذا يعني أنني أعرف قواعد اللعبة الآن.
قلت، وقلبي ينبض بشدة، لكن صوتي ثابت.
ثم اقترب فجأة، بسرعة مفاجئة، ورفع يده كأنه يهدد مباشرة.
كنت مستعدة.
خطوة واحدة للخلف، حركة خاطفة للذراع،
في نفس اللحظة، شعرت بالقوة التي اكتسبتها خلال الانهيار النفسي،
التي حولتني إلى صيادة حقيقية، إلى أداة ردع.
— لم تعد هناك مجرد لعبة...
قلت، صوته يتردد في أذني، لكنه ليس الصوت الذي يخيفني بعد الآن.
— الآن، كل خطوة لي... موجهة.
ابتعد للحظة، ضوء القمر عبر النوافذ يضيء نصف وجهه،
وأدركت لأول مرة أن هذا الرجل ليس مجرد مراقب،
هو مخطط،
لاعب رئيسي، وربما خصم أخطر من كل ما رأيت.
— حسنًا... يبدو أنك تعلمتِ أكثر مما توقعنا.
قال بصوت هادئ، لكن فيه احترام مبطن.
— لكن تذكري... كل قوة لها ثمن.

ابتسمت، هذه المرة ابتسامة بلا رحمة،
— وثمن أي شيء أختاره سيكون دائمًا على من يهددني.
وقفنا صامتين للحظات، مراقبة بعضنا البعض.
المدينة بالخارج صامتة، المبنى القديم يئن، وكل شيء في الداخل يبدو وكأنه يتنفس معنا.
ثم قال:
— دعينا نرى من سيأخذ الخطوة التالية.
ابتسمت مرة أخرى، شعرت بأن اللعبة بدأت فعليًا...

لكن هذه المرة، لم أعد مجرد قطعة على رقعة الشطرنج،
أنا اللاعبة التي يمكن أن تقلب اللوحة بأكملها

الفصل الثاني عشر

الوجه الأخير... أم البداية الحقيقية؟
الليل كان قاتمًا، والمطر يتساقط بلا رحمة على أسطح المدينة القديمة.
دخلت المبنى المهجور، أعلم أن هذه المرة لن تكون مجرد مواجهة، بل اختبار لما بقي من قوتي،
من نفسي، ومن إدراكي.
الطرف الثالث كان ينتظرني، واقفًا في منتصف الغرفة، مع ابتسامة نصف مخفية، عيناه تتلألأ بالمعرفة والخبرة. هذه المرة، كان شيء آخر واضحًا: توتر خفي، خوف متوارٍ، إدراك لما يمكن أن يحدث.
— أرى أنك لم تخافي.
قال بصوت منخفض، غير متوقع، وكأنه يختبر ردة فعلي.
— لم أكن لأخاف... لأن كل خطوة، كل درس، كل انهيار... جعلني أقوى.
اقترب أكثر، عيناه لا تفارقان وجهي، كان هناك شيء جديد، لم أره من قبل: اعتراف مبطن، يقارن بين من كنت ومن أصبحت.
— هل تعرفينني الآن؟
سأل، كأنه ينتظر اللحظة المناسبة.
ابتسمت، وأنا أراقب كل حركة، كل نبرة:
— نعم... وأعرف لماذا كنت تتحكم في اللعبة من الظل طوال هذه الأشهر.
صمت للحظة، ثم أزال معطفه قليلاً، وانكشف جزء من وجهه.

رأيت ملامح مألوفة، ذكريات متفرقة تتصاعد: حادثة مريم، الرسائل، أول اختبار في الشركة... كل شيء متصل الآن.
— أنت...
همست، والدهشة تختلط بالقوة التي اكتسبتها.
— نعم...
قال، مبتسمًا ببطء، كأنه يكشف سرًا انتظر أن أحلّه طويلاً:
— أنا من اخترت كل شيء منذ البداية.
— أنا من بدأت التجربة، من أرسلت الرسائل، من صممت كل اختبار... لأعرف إنك ستكونين قادرة على مواجهة كل شيء.
الصدمة ارتدت في داخلي، لكن لم يزل شعوري بالقوة حاضرًا.
— كل ما فعلته كان خطة للتحكم بي؟
قلت بصوت ثابت، رغم شعوري بالخيانة.
— ليس فقط للتحكم...
قال، ونظر إليّ بعينين مليئتين بالاعتراف،
— بل لاختبار من يمكن أن يصبح أداة ردع، من يمكن أن يصبح الصياد الحقيقي.
— أنتِ... كنتِ دائمًا مصممة لتكوني الأخيرة، النهاية، القوة التي لا يمكن تجاهلها.
جلست للحظة، أحاول استيعاب كل شيء: حادثة مريم لم تكن صدفة، الرسائل، الظل، كل شيء موجّه... لا لاختبار قوتي فقط، بل لإنشاء أداة لمواجهة الشبكة الكبرى.

ابتسمت، لأول مرة منذ البداية، ابتسامة كاملة، بلا خوف، بلا شك، بلا تردد.
—— إذاً كل شيء كان محسوبًا...
قلت ببرودة،
—— لكنني اخترت لنفسي النهاية... أو البداية الجديدة.
الطرف الثالث لم يتحرك. عرف أنني الآن لست مجرد قطعة على الرقعة.
أنا اللاعب الذي يمكن أن يقلب كل شيء، ولكن... هذه المرة، اللعبة لم تنته بعد.
—— هناك شيء واحد يجب أن تعرفيه، قالت صوته، وكأنه يملأ الغرفة كلها:
—— ما رأيته حتى الآن هو مجرد البداية.
كل اختبار، كل انهيار، كل إنتقام، كل خطوة... كانت تجهيزًا لما هو أعظم.
—— الشبكة الكبرى لم تُكشف بعد، ولا قواعدها كاملة... وكل تحرك لك، وكل خطوة اتخذتها... محسوبة في لوحة أكبر من أي شيء تخيلته.
أدركت في تلك اللحظة: القوة التي اكتسبتها، والقدرة على الردع، لم تكن فقط لأجل الانتقام أو البقاء...
كانت إعدادًا لأداة يمكن أن تُغيّر اللعبة كلها، لكن حتى الآن، لم أكن أعرف ضد من أو مع من.
الطرف الثالث ابتعد قليلاً، صامتًا، كأنه يراقب رد فعلي.
ثم قال بهدوء:
—— هل أنت مستعدة للمرحلة التالية؟

ابتسمت، هذه المرة بابتسامة لا تثنيها أي تهديد،
— نعم... وأنا أتحكم بخطوتي التالية.
كانت الغرفة صامتة، لكن كل شيء حولنا ينبض بالانتظار.
كل ظل، كل صدى، كل ضوء خافت على الحائط... يشير إلى أن اللعبة الحقيقية تبدأ الآن.
— واذكري... قال الرجل، صوته منخفضًا،
— أن كل قرار لكِ سيعيد رسم الحدود، وسيكشف من هو الخصم الحقيقي، ومن هو مجرد دمية.
ابتلعت ريقي، وأدركت شيئًا أخيرًا: لم أعد مجرد ضحية، ولا مجرد مراقبة، ولا مجرد صيادة...
كنت الآن جزءًا من شيء أكبر، قوة حقيقية، وعين في الشبكة الكبرى.
لكن السؤال الذي بقي بلا إجابة: هل أنا من يراقب، أم أن هناك من يراقبني أيضًا، حتى في المرحلة التالية؟
وأثناء خروجي من المبنى، لم يكن المطر يغسل فقط الشوارع...
بل كان يغسل حدود السيطرة القديمة، ويترك خلفه فرصة جديدة، لعبة جديدة، وجهًا جديدًا... أو ظلًا جديدًا.

الفصل الثالث عشر

الشبكة الكبرى

بعد أن أصبحت الصيّادة، شعرت بتدفق قوة جديدة، ولكنها لم تكن مجرد قوة جسدية أو سيطرة على الظل أو على من يهدد مريم،
بل قوة إدراك. كنت أرى كل شيء بوضوح لم أكن أمتلكه من قبل: تحركات الآخرين، نواياهم الخفية، طرق تفكيرهم، حتى نقاط ضعفهم الصغيرة التي لم ينتبهوا إليها.

لكن هذه القوة كانت ثمنها إدراك مرعب: كل ما اعتقدت أنني أتحكم فيه، لم يكن إلا جزءًا من خطة أكبر.

بدأت بالتحقيق في كل التفاصيل: البريد الإلكتروني الغامض، القرص المضغوط، الظل الذي يظهر ويختفي، حادثة مريم، كل رسالة تهديدية، كل خطوة صغيرة كنت أظنها مستقلة. كل خيط كان يقودني إلى شبكة أكبر، أوسع، أعقد مما تخيلت.

في إحدى الليالي، جلست أمام الكمبيوتر حتى ساعات متأخرة، أفتح ملفات البريد الإلكتروني القديمة، أقرأ الرسائل، أستمع إلى المقاطع الصوتية والفيديوهات. شعرت بقشعريرة، كل شيء مخطط بدقة، كل خطوة محسوبة منذ البداية، وكل حركة مني قد تكون كانت متوقعة.

فتحت أحد الملفات المخفية، وظهرت رسالة تقول بصوت رقمي جامد:
—— "مرحلة التجربة بدأت منذ ولادتك. كل اختيار، كل شعور، كل خطأ... محسوب مسبقًا."

كانت هذه الكلمات كالصاعقة. لم أعد أتحرك بحرية. لم أعد أقرر وحدي. كل ما فعلته كان جزءًا من تجربة لم أكن أعلم أبعادها، لعبة عميقة تفوق كل ما عرفته عن نفسي أو عن الآخرين.

الملف التالي كشف عن منظمة ضخمة، مجهولة العدد، لكن تمتلك القدرة على مراقبة البشر منذ عقود، تحركهم، تصنع الأحداث لهم، تحلل كل خطوة، تدرس ردود أفعالهم، وتخطط لكل احتمالاتهم.
حادث مريم لم يكن مجرد تجربة صغيرة، بل جزء من سلسلة كبيرة من التجارب، كل خطوة لي، كل خطأ، كل إنتقام، كل شعور... تم توجيهها مسبقًا وربما كانت متوقعة منذ البداية.
ظهر الصوت مرة أخرى من الملف، بوضوح أكثر:

—— "هل تعتقدين أنك وحدك؟ كل ما شعرت به، كل سقوط، كل تجربة، كان جزءًا من برنامج أكبر."

وفي الفيديو التالي، رأيت مريم... أو نسخة منها، تتحرك بطريقة مخططة، كل دمعة، كل شعور، كل حركة محللة بدقة.

جلست أراقب الشاشة،
قلبي يتسارع، يدرك شيئًا أخيرًا: أنا لست الوحيدة في اللعبة، كل شيء حولي جزء من شبكة مراقبة ضخمة، وكل اختبار وكل انتقام صغير... جزء من خطة أكبر.

حتى قوتي التي اكتسبتها، القدرة على الردع، لم تكن من اختياري بالكامل، بل كانت النتيجة المرجوة من كل ذلك التخطيط المسبق.
الصدمة الكبرى لم تكن في حجم المؤامرة، بل في إدراكي أنني بدأت أشعر بالمتعة في التحكم، في الرعب،
في القوة... شعور توقعه المراقبون مني، لكن لم أكن أعلم أنني سأحبه.
أدركت أخيرًا أن المواجهة الحقيقية ليست مع مريم، ولا مع أي شخص آخر... بل مع من صنع اللعبة، من زرع الظل الذي يراقبني، من وضع القواعد التي لم أرها بعد.

الآن بدأت اللعبة الحقيقية، ولن يكون فيها صمت، أو مراوغة، أو تجاهل. كل شيء أصبح مفتوحًا، كل خطوة محسوبة، وكل قرار... اختبار جديد

الفصل الرابع عشر

بداية الصيد

اليوم الذي بدأت فيه الصيد الحقيقي، شعرت بأن الهواء نفسه مشحون بالطاقة والترقب.
لم يعد مجرد مطاردة، بل لعبة ذكاء، كل خطوة فيها تحمل خطرًا، وكل قرار يمكن أن يكون آخر خطأ.
خرجت في الصباح الباكر، المدينة نائمة تقريبًا، والشوارع ضبابية تحت نور المصابيح الخافتة.
كل شيء بدا وكأنه لوحة حية، مظلمة، لكنها مليئة بالإشارات الخفية، بأصوات خافتة تهمس بما يحدث خلف الأبواب المغلقة.
كان عليّ أولًا أن أستجمع كل المعلومات،
كل خيط صغير قد يقودني إلى الهدف. جلست على رصيف مهجور، أراقب، أسمع، ألاحظ تحركات الناس، أقرأ وجوههم، أحاول أن أميز ما هو حقيقي وما هو تمثيل. كل شخص حولي كان محتملًا أن يكون جزءًا من الشبكة، وكل حركة صغيرة قد تحمل مفتاحًا لمخطط أكبر.

في الوقت نفسه، شعرت بالخوف، لكن ليس بالخوف المعتاد... كان خوفًا يشبه الإثارة، خوفًا يجعل الحواس مشدودة، العقل يقظًا، والجسم مستعدًا لأي مواجهة. شعور يشبه الرغبة في الاختبار، في دفع نفسي إلى حدود لم أكن أعلم أني أستطيع الوصول إليها.

بدأت أولى الخطوات العملية: مراقبة الأشخاص، تتبع خطوط الاتصال، ملاحظة أي تحركات مشبوهة. كل شيء كان دقيقًا،

كل حركة محسوبة، وكل إشارة صغيرة تحمل معلومات أكثر مما تتوقع.

لكن الأهم كان المراقبة الذاتية. كنت أراقب نفسي، أفكر: هل أتحرك بحرية؟ أم أن كل خطوة لي محسوبة مسبقًا؟ شعرت للحظة أن اللعبة تتقاطع مع قدراتي، أنني أصبحت جزءًا من نظام أكبر لا أراه، لكن أستطيع استشعاره.

ثم جاء أول اللقاء الحقيقي. كان الشخص الذي أبحث عنه أمامي، لم يتحدث، لم يبتسم، فقط نظر إليّ بعينين لا تحملان أي تعبير، كأنه يعرف كل شيء عني.
في تلك اللحظة شعرت بالقشعريرة، أدركت أن الصيد ليس فقط عن السيطرة على الآخرين، بل عن مواجهة النسخة الأكثر ظلامًا من نفسك.
اقتربت خطوة خطوة، وكل خطوة كانت اختبارًا لقوتي، لصبري، لذكائي. الصوت الداخلي في رأسي يكرر: "كل خطوة محسوبة، كل حركة ملاحظة، كل شعور مسجل."

ومع ذلك، لم يكن هناك تراجع. هذه اللحظة كانت البداية الحقيقية، البداية التي ستحدد كل شيء.
شعرت لأول مرة أن اللعبة بدأت بشكل كامل، وأنني لم أعد مجرد ضحية، بل صيّادة، ولكن صيّادة في شبكة معقدة، مليئة بالألغاز، بالخطر، والقوة.

كانت المدينة حولي كأنها كائن حي، كل شارع، كل زقاق، كل نافذة…
جزء من اللعبة. كل حركة ضوء أو ظل يمكن أن تكشف أو تخفي، وكل خطوة محسوبة.
شعرت أن كل شيء أصبح ممكنًا، وأن كل شيء سيبدأ الآن… الصيد الحقيقي، المعركة الحقيقية، والمواجهة الكبرى مع من خلق اللعبة.

الفصل الخامس عشر

المواجهة الأولى

بدأت الساعة تميل نحو المساء، والمدينة بدأت تتغير تحت الضوء الخافت للمصابيح. الظلال أصبحت أطول، والأصوات أكثر حدة، كأن كل شيء يتنفس حولي، يراقبني، ويختبر صبري.
مع كل خطوة أخطوها في الزقاق الضيق، شعرت أن قلبي يدق بسرعة غير طبيعية. كل حركة، كل صوت خلف الباب المغلق، كل خيط ضوء من نافذة، كان يشير إلى وجود شخص آخر يراقبني. شعور غريب، مزيج من الخوف والإثارة، يجعلني أكثر يقظة، أكثر استعدادًا لأي شيء.

ثم رأيته. ظل طويل يتحرك بخفة بين الأزقة، لا صوت، لا تنفس... فقط عينان تراقبان كل حركة لي. حاولت أن أخفي أي إشارة للخوف، لكن شعرت بالنبض يتسارع. كان واضحًا أن هذه المرة، الصيد لم يكن مجرد لعبة، بل مواجهة مباشرة مع خصم يعرف ما أفعله قبل أن أفعله.
اقتربت خطوة خطوة، وكل خطوة شعرت أنها ترفع مستوى التوتر أكثر. كل حركة له، كل نظرة، كل إيماءة صغيرة كانت تحدد مصيري في هذه اللحظة. كان يقيسني، وأنا أقيسه، كأننا جزء من رقصة دقيقة، كل خطأ فيها يمكن أن يكون الأخير.

ثم حدث الشيء غير المتوقع. فجأة، تحول الظل إلى حركة سريعة، اقتحم الزقاق نحوي بشكل مفاجئ. قلبت كل إحساسي إلى يقظة قصوى، كل شيء بدا أبطأ، كأن الوقت توقف للحظة.

كان على بعد أمتار قليلة، وجهه مخفي جزئيًا، لكنه ترك إحساسًا قويًا بالخطر.
بدأت الملاحقة، خطواتنا تتقاطع، أصوات الأحذية على الرصيف تتعالى، صدى أقدامنا يتنقل بين الجدران. شعرت بالضغط يتزايد، كل حركة يجب أن تكون محسوبة، كل خطأ صغير يمكن أن يكلفني الكثير.

ثم وقفت فجأة، لا أدري لماذا، شعور داخلي جعلني أتوقف. هو توقف أيضًا، نظر إليّ مباشرة، في تلك اللحظة، كل شيء حولنا اختفى، وكأن العالم كله يركز على هذا اللقاء. لحظة صمت مطبق، مليئة بالتوتر، كل ثانية فيها كانت كأنها دقيقة كاملة.

ثم ابتسم، ابتسامة غامضة، قصيرة، لكنها حملت تهديدًا خفيًا. وعرفت في تلك اللحظة أن اللعبة قد بدأت بشكل كامل، وأن هذه المواجهة لم تكن مجرد اختبار، بل بداية سلسلة من الأحداث التي ستجعل كل شيء على المحك... حياتي، خططي، وكل شيء أؤمن به.

الفصل السادس عشر

تصعيد المواجهة

بعد لقائنا في الزقاق، شعرت أن المدينة كلها صارت مسرحًا للمراقبة، وكل زقاق وكل نافذة يمكن أن تخفي خصمي. لم أعد أتحدث إلى نفسي بصوت منخفض، بل أصبح كل تفكيري مركزًا على تحركاته، وعلى ما يمكن أن يفعل.

المطر بدأ يتساقط بغزارة، قطراته تصطدم بالأرض وتتشظى في الهواء، كأنها تضيف صوتًا إضافيًا للمطاردة، تصعب الرؤية وتزيد الضغط على أعصابي. كل خطوة لي كانت محسوبة، وكل ظل يمر بجانبي كان يثيرني ويرعبني في الوقت ذاته.
ثم ظهر فجأة. هذه المرة لم يكن مجرد ظل يراقب، بل شخصية كاملة، واضحة الخطوط، تتحرك بسرعة حادة، تتحرك وكأنها تعرف كل تحركاتي قبل أن أخطط لها. كان ابتسامه هادئًا، لكنه مليء بالقوة والتهديد، ابتسامة تقول: "أنا هنا لأرى إن كنت تستطيعين الصمود".

بدأت اللعبة الحقيقية. كل منا يتحرك حول الآخر بحذر، يختبر ردود الفعل، كل نظرة، كل ميلان للرأس، كل خطوة للأمام أو الخلف. شعرت أن جسدي كله أصبح مرنًا، جاهزًا لأي حركة مفاجئة،
وكل إحساس داخلي يحذرني من أي خطأ.
ثم، فجأة، اقترب مني بسرعة لا تصدق، وحرك يده بشكل كأنه يريد أن يلمسني، لكن في اللحظة الأخيرة قمت بحركة خاطفة،

أدت إلى تراجع المسافة بيننا، شعرت بالقوة التي اكتسبتها من كل اختبار وكل مواجهة سابقة.

صوت المطر، صدى أقدامنا، وحتى أنفاسنا، كل شيء أصبح متزامنًا، يخلق أجواء من التوتر لا يمكن وصفها. كل ثانية مرت كانت ترفع مستوى الخطر، وكل لحظة شعرت فيها بالسيطرة كانت قصيرة، لأنها كانت متبوعة بإحساس أن أي لحظة يمكن أن تنقلب فيها الأمور رأسًا على عقب.

ثم توقفنا فجأة. نظر إليّ مباشرة، عيناه تتأملان كل تفصيل في وجهي، كل إحساس في حركاتي. ابتسامته هذه المرة لم تكن مجرد تهديد، بل تحدٍ، تحدٍ يقول: "لن تعرفي كيف تنتهي اللعبة حتى تصلين إلى النهاية".

أدركت في تلك اللحظة أن المواجهة لم تكن مجرد اختبار للقوة، بل اختبار للعقل، للحدس، لكل جزء مني. وأن كل خطوة أخطوها من الآن فصاعدًا، كل قرار أتخذه، سيحدد مصيري في هذه اللعبة المعقدة التي بدأناها معًا.

الفصل السابع عشر
الأنفجار الأول

المدينة تحت المطر تبدو أكبر، مظلمة أكثر، وكأن كل شارع وكل نافذة تخفي أسرارًا تنتظر من يكتشفها.
شعرت أن كل شيء من حولي يتحرك ببطء، لكن في الوقت نفسه، كل ثانية كانت مشحونة بالخطر، وكأن أي خطأ قد يؤدي بي إلى هاوية لا رجعة منها.
دخلت المبنى القديم مجددًا، المكان الذي صار مسرحًا لمطاردتنا منذ البداية. الظلال كانت تتحرك ببطء على الجدران، كل زاوية تخفي شيئًا لا أستطيع رؤيته، وكل صدى خطوة يذكرني بأن خصمي قريب، يراقب كل حركة.

ثم ظهر فجأة، أسرع مما توقعت، ظل طويل يقترب مني من زاوية مظلمة.
لم يكن هناك أي صوت سوى المطر، لكن شعوري بالخطر كان كافيًا لأشعر بأن كل جزء مني متأهب، كل عضلة مشدودة، كل شعور داخلي يقف على الحافة.
— توقفي، قال بصوت منخفض، مليء بالقوة، وكأنه يملك القدرة على التسلل إلى عقلي.
ابتسمت، لكن هذه المرة كانت ابتسامتي مختلفة، حادة، مركزة، لا مجال للخطأ فيها.
— لم أعد أهرب، قلت بصوت هادئ، لكنه مشحون بالقوة.
— كل خطوة أخطوها الآن، لكل اختبار قمتم به
... سأرد عليه.
اقترب أكثر، وحرك يده بشكل سريع، كنت مستعدة، وخطوة واحدة خاطفة مني، قلبت الموازين. شعرت بالقوة تملأ كل

جسدي، شعور لم أشعر به منذ البداية، شعور بالسيطرة المطلقة على اللحظة، على المكان،
على اللعبة بأكملها.
لكن قبل أن أستعيد توازني بالكامل، حدث شيء غير متوقع.
فجأة، انطفأت الأنوار،
وغرق المبنى في الظلام الكامل، ولم يعد المطر كافيًا لإضاءة أي شيء. شعرت بالارتباك للحظة، لكن بعد ثانية واحدة فقط، سمعت خطواته تتقرب، همساته تتسلل إلى عقلي:
— هل تعتقدين أن السيطرة لك وحدك؟

كان واضحًا أن هذه المرة، اللعبة لم تعد مجرد اختبار جسدي، بل صراع عقلي ونفسي. كل حركة، وكل همسة، وكل ظِل يتحرك... كان جزءًا من الخطة.

أخرجت الهاتف من حقيبتي، لكن الشاشة لم تعمل، الكهرباء مقطوعة بالكامل، وكأن المبنى كله صار ساحة لعب لنا فقط، بلا أي وسيلة خارجية للمساعدة. شعرت بالإثارة والخطر يتلاحمان معًا، قلب يفيض بالأدرينالين، وعقل يخطط لكل خطوة تالية في ثوانٍ معدودة.

ثم... شعرت بشيء يلمس كتفي من الخلف. التفت بسرعة، ووجدت الظل الذي كان يراقبني طوال الوقت أمامي، قريبًا جدًا، لكنه هذه المرة بلا ابتسامة، بلا تحذير... فقط تحدي كامل.

— لن تنجحي هذه المرة، همس، لكنني شعرت بأن في صوته اعترافًا خفيًا... أن هذه المواجهة لم تنته بعد، وأن الانفجار الحقيقي... لم يبدأ بعد

الفصل الثامن عشر

صدام القوى

المطر لم يتوقف، لكنه أصبح مجرد صوت خلفية خافت، لأن كل حواسي مركزة على هذا المكان، على هذا الصراع الذي لم يكن مجرد مواجهة جسدية، بل معركة كل لحظة فيها تحدد من سيخرج منتصرًا.

ظل يقف أمامي، صامتًا للحظة، ثم هز رأسه ببطء، كما لو كان يقرأ أفكاري، يعرف كل خطوة سأقوم بها قبل أن أفكر فيها.
كان واضحًا أن قوة كلانا متكافئة،
لكن العقل هنا هو السلاح الأقوى.
— توقفي عن المقاومة، قال بصوت منخفض، مليء بالتهديد، لكن فيه شيئًا من الفضول.
— المقاومة هي كل ما تبقى لي، قلت بثبات، وكأنني أطلق رصاصة كلمات بدلًا من النار.
اقترب خطوة، فابتعدت خطوة. كل حركة بيننا كانت رقصة قاتلة، خطوات محسوبة، أنفاس متوترة، كل واحدة أقرب إلى النهاية. شعرت بقلبه يدق بصوتي، كأن كل نبضة من نبضاته تخلق موجة من التوتر حولنا.

ثم فجأة، انكسر صمت المكان بصوت انفجار بعيد، لم أستطع تحديد مصدره،
لكن ارتعشت الأرض تحت قدمي. الضوء جاء من نافذة مكسورة، يلقي ظلالًا مرعبة على وجوهنا. كل شيء أصبح أسرع، كل حركة أصغر يمكن أن تكون الفرق بين الحياة والموت

.

حركت يدي بسرعة، واندفع نحوه، لكنه تصدى لي بنفس سرعة خاطفة. صرخنا معًا في لحظة تصادم القوى، صدى أصواتنا تملأ المبنى، مخلوطًا بالريح والرصاص والمطر. لم يعد هناك مجال للتراجع، كل شيء صار مواجهة مباشرة، كل خطوة محسوبة، كل نفس محسوب.

ثم شعرت بيده تمسك بيدي للحظة قصيرة، لكن في هذه اللحظة القصيرة، كان واضحًا أننا متساويان في القوة والمهارة، لكن هناك شيء آخر... شيء أكثر خطورة، شيء لم يخطر في بالي.

— أنتِ أفضل مما توقعت، قال بصوت خافت، كما لو كان يعترف للمرة الأولى بالاحترام... أو الخوف.

ابتسمت، لكن هذه المرة كانت ابتسامتي تحمل تهديدًا، رسالة واضحة: أنا لم أعد أقاتل فقط للبقاء، أنا أقاتل للسيطرة، للانتصار، ولإظهار أنني هنا... لن أخسر هذه اللعبة.

وفجأة، انطلقت صفارات الإنذار، ضوء أحمر يملأ المكان، وكل شيء حولنا بدأ يهتز. شعرت أن المبنى على وشك الانهيار، وأن الانفجار القادم ليس بعيدًا... وأن كل خطوة لاحقة ستكون أخطر من أي شيء حدث حتى الآن.

الفصل التاسع عشر

لحظة الإنفجار الحقيقية

الصفارات لم تتوقف، والضوء الأحمر يملأ المكان كأنه دماء مبعثرة على الجدران المتصدعة. الرياح تخترق النوافذ المكسورة، تحمل معها رذاذ المطر، فتختلط أصوات الانفجار البعيد، بصرختنا، وصفارات الإنذار، في سيمفونية فوضوية من الرعب والسيطرة.
كان واضحًا أن المبنى بدأ يهتز، الأرض تحت قدمي ترتعش،

والجدران تصرخ بصوت الخشب والحديد. كل خطوة كانت محفوفة بالخطر، وكل حركة خاطئة يمكن أن تكون الأخيرة.
اقترب مني، وكل خطوة له كانت كأنها تحدٍ مباشر، عيناه تتأملني، تقرأ ردود فعلي قبل أن أفكر بها.

ـــ هذه فرصتك الأخيرة، قال بصوت قاتل، لكن فيه شيئًا يشبه الاحترام المخيف.
ـــ وأنا أعرف كيف أصنع الفرص، قلت بثقة، لكن في قلبي كان شعور بالتصعيد لم أعهده من قبل.

ثم حدث ما لم أتوقعه. انفجار صغير من الطابق السفلي، ارتجف المكان بالكامل، الأبواب اهتزت، الغبار غطى كل شيء، والضوء الأحمر أصبح أكثر قوة، كأنه يصرخ بي: هذه هي النهاية... أو البداية الحقيقية.

لم أتحرك، شعرت بالقوة تتجمع داخلي، كل التدريب، كل تجربة، كل لحظة انهيار سابق... كلها الآن أمامي، جاهزة للانفجار

.

انقض نحوِّي بسرعة لا يمكن توقعها، وحرك يده كما لو كان يريد الإمساك بي، لكنني كنت أسرع، حركة خاطفة، خطوة جانبية، وكنت خلفه، عيناي مركزة على كل شيء حولنا.

— أنتِ... لا يمكن توقّعك، قال، صوته يرتجف قليلًا، لم يعد متحكمًا بالكامل.

— وأنا الآن... من يحدد الخطوة التالية، قلت ببرودة، لكن قلبي ينبض بقوة، شعور السيطرة لم أشعر به هكذا من قبل.

الانفجار الثاني جاء أقوى،

الحطام يتطاير حولنا، الغبار يملأ الجو، لكننا لم نرتعش. كل شيء أصبح لعبة سرعة، كل خطوة محسوبة، كل حركة مهمة.

وفي تلك اللحظة، أدركت الحقيقة: ليس المبنى أو الانفجار أو الضوء الأحمر ما يجب أن أخافه... بل قوة هذا الرجل، وذكاؤه، وخطته. لكنني أدركت أيضًا شيئًا آخر...

أنا لم أعد مجرد قطعة على رقعة الشطرنج.

أنا الآن اللاعب الذي يمكن أن يحول أي انفجار، أي تهديد، أي حركة خاطئة، إلى فرصة... إلى انتصار.

الفصل العشرون

النهاية أو البداية الجديدة

الهواء لا يزال ثقيلًا، الغبار يغطي كل شيء، والمدينة خارج المبنى مهجورة، كأنها تعرف أن لحظة الحسم قد اقتربت.
كنت واقفة في منتصف الغرفة، أراقب الظل الذي كان أمامي منذ بداية اللعبة، الرجل الذي خطط لكل اختبار، لكل انهيار، لكل خطوة.
— كل شيء انتهى، قال، صوته هادئ لكنه مشحون بالقوة،
ابتسمت، لكن ابتسامتي كانت مختلفة هذه المرة: لا خوف، لا شك، لا تردد.
— كل شيء يبدأ الآن، قلت ببرودة، كل خطوة أخطوها، كل قرار سأتخذه، سيكون لي... ولن يكون أحد قادرًا على التنبؤ بي.
تقدم نحوِّي ببطء،
كل حركة محسوبة، كل نظرة محسوبة، كما لو كان يحاول قراءة ما في داخلي، لكنني شعرت أنني تملك كل زمام المبادرة.
ثم رفع يده فجأة، وأخرج ملفًا آخر، أثقل، أكثر سمكًا، معلقًا بشريط أحمر.

— هذا آخر اختبار، قال، — الآن ستعرفين كل شيء... عن الشبكة، عن المراقبين، عن كل ما خططنا له منذ البداية.
فتحت الملف، وكانت المفاجأة:
صور، رسائل، مقاطع فيديو، كل واحدة تكشف جزءًا من الحقيقة التي لم أكن أعلم بها

.

— الشبكة الكبرى ليست مجرد مراقبة... إنها تحكم العالم خلف الستار، كل تجربة، كل اختبار، كل سقوط، كل انتقام... كان مخططًا، محسوبًا، وموجهًا منذ عقود.
صوت الرجل أصبح أقل، لكنه أكثر عمقًا:

— الآن أنت تعرفين كل شيء، لكن السؤال الحقيقي... هل يمكنك مواجهة من صنع هذه اللعبة، أم ستصبحين مجرد قطعة أخرى؟
ابتسمت، شعرت بالقوة تتدفق داخلي، كل لحظة انهيار، كل اختبار، كل انتقام... كل شيء جعلني مستعدة.

— أنا لن أكون قطعة، قلت، — أنا اللاعب الذي سيقلب اللوحة بأكملها.
الرجل ابتسم، لكن هذه المرة كانت ملامحه تعكس الاحترام والخطر معًا:
— جميل... هذه البداية الحقيقية.
الضوء الأحمر خفت قليلاً، الظلال تلاشت، لكن الشعور باللعبة الكبرى لم ينتهِ، بل كان يبدأ الآن.
كنت أعلم شيئًا واحدًا: الشبكة الكبرى، كل المراقبين، كل الظلال... كل ذلك لا يهم الآن.
أنا الآن... من يقرر، من يسيطر، من يصنع الخوف... ومن يحوّل الانهيار إلى قوة، والانكسار إلى بداية جديدة.

الفصل الحادي والعشرون

المواجهة الكبرى

المدينة خارج المبنى صامتة بشكل مخيف، كل ضوضاء الحياة اختفت كما لو أن العالم كله يراقبنا من الظلال.

داخل الغرفة، الهواء كان مشحونًا بالتوتر، كل خطوة، كل نفس، كل حركة شعرت بها وكأنها وزنٌ على صدري
.
الظل الذي كان يقف أمامي منذ البداية... لم يعد مجرد مراقب، بل أصبح خصمًا مباشرًا، أداة اختبار حقيقية، وصانع قواعد اللعبة الكبرى.
ابتسم، ولكن هذه المرة الابتسامة لم تكن ودية، كانت تحديًا، وتحذيرًا في نفس الوقت.
— هل تعتقدين أنكِ مستعدة؟ سأل، صوته يملأ الغرفة بصدى غريب،
نظرت إليه مباشرة، قلبي لا يخفق خوفًا هذه المرة، بل تحديًا،
— كنت أتعلم طوال الوقت، قلت بصوت ثابت، — كل اختبار، كل انهيار، كل تجربة، كانت تدريبًا، وأنا الآن على استعداد للخطوة التالية.
اقترب ببطء، كل حركة محسوبة، كل خطوة محسوبة، كما لو كان يحاول قراءة أعماقي، لكنني شعرت أنني أتحكم بالوضع أكثر من أي وقت مضى.

رفع يده فجأة، وأخرج جهازًا صغيرًا، شاشة صغيرة تظهر آلاف الوجوه، كل واحدة مراقبة، كل واحدة جزء من الشبكة الكبرى.

ـــ كل هؤلاء... قال،
ـــ كل من ظنوا أنهم يتحكمون في حياتك، كل تجربة، كل اختبار... كان جزءًا من خطة أكبر، وكل شيء كان محسوبًا مسبقًا.
ابتسمت، لكن هذه المرة ابتسامتي لم تكن مجرد رد فعل، بل إعلان تحدي:

ـــ وأنا؟ سأكون جزءًا من اللعبة... ولكني سأعيد كتابتها، قلت، ـــ لن أكون مجرد قطعة، بل اللاعب الذي يقرر من يسقط، ومن ينهار، ومن ينجو.
صمت للحظة، ثم استدار فجأة، الشاشة الكبيرة أضاءت بشكل كامل، والوجوه بدأت تتحرك، تتحرك كما لو كانت حقيقية، كأنها تراقب كل رد فعل وكل شعور.

ـــ كل خطوة اتخذتها، كل تجربة لعبتها، كل انتقام قمت به... كان محسوبًا، قال، ـــ لكن السؤال الآن، هل يمكنك السيطرة على كل هذا؟
تقدمت خطوة، والظل يتراجع قليلًا، لأول مرة شعرت أنني أملك الأفضلية.
ـــ نعم، قلت، ـــ وأنا لن أسمح لأي شخص بأن يكون اللاعب الأكبر فوقي بعد الآن.
ابتسم مرة أخرى، لكنه هذه المرة كان ابتسامة معترفة، لكنه يحذرني:
ـــ اللعبة لم تنته بعد...،

ثم ضغط زرًا على الجهاز، والوجوه على الشاشة بدأت تتحدث، تتحرك، تفتح أفواهها وكأنها تصرخ:

"اختاري، اختاري، اختاري!"
لحظة صمت، وأنا أشعر بضغط هائل... ليس جسدي، بل نفسي، كل ذكريات الانهيار، كل اختبار، كل لحظة ضعف، كل تجربة مريم... كلها تتدفق في رأسي دفعة واحدة.

ثم أدركت الحقيقة:
— اللعبة ليست ضد الآخرين فقط، قلت، — اللعبة ضدي أيضًا... وضد كل من يظن أنه يمكن أن يسيطر.
الظل ابتسم، لكنه عرف أن القوة لم تعد وحده...
— حسنًا... قال، — إذا كنتِ مستعدة، فلنبدأ المرحلة الأخيرة.
المواجهة لم تكن جسدية فقط، بل صراع ذهني ونفسي، كل حركة، وكل كلمة، كل نظرة... كانت ساحة معركة.

المدينة حولنا صامتة، المبنى القديم يئن تحت خطواتنا، وكل شيء بدا وكأنه يترقب نتيجة المواجهة الكبرى.
كلما تقدمت خطوة، كلما شعرت بأنني أتحكم في اللعبة أكثر، وأن كل من كان يراقبني... أصبح الآن تحت سيطرتي،

— هذه اللعبة... قلت بصوت عميق، — لن تُحكم إلا بما أختاره أنا، ولن يسقط أحد إلا إذا سمحت أنا بذلك.

الرجل ابتسم، لكنه هذه المرة كان أكثر حذرًا، كل حركة محسوبة... لكنه عرف شيئًا واحدًا: هذه المرأة لم تعد مجرد قطعة على الرقعة،

— يبدو أنك تعلمتِ كل شيء... قال، — لكنك لن تعرفي النهاية بعد.
ابتسمت ابتسامة كاملة، لا خوف، لا شك... كل شيء أصبح واضحًا: الشبكة الكبرى، المراقبون، الظلال... كل شيء يمكن مواجهته، كل شيء يمكن قلبه.
— لن تكون هناك نهاية... قلت، — إلا ما أختاره أنا.
في تلك اللحظة، شعرت بالقوة تتدفق داخلي، كل الانهيارات السابقة، كل التجارب، كل اختبارات مريم وكل الألعاب الصغيرة... أصبحت سلاحًا،

— أنا الآن الصيادة، أنا اللاعب، أنا القوة...، قلت، — وهذه اللعبة، كانت فقط البداية الحقيقية.

الفصل الثاني والعشرون

الانقضاض على الشبكة الكبرى

بعد أن أدركت أنني لم أعد مجرد قطعة في اللعبة، شعرت بالحرية لأول مرة منذ بداية هذه الكوابيس.

كل خطوة كانت محسوبة، كل حركة كانت استراتيجية، وكل تنفس بدا وكأنه عدّ تنازلي لمرحلة الانقضاض الحاسمة.

الغرفة التي كانت ساحة المواجهة تحولت فجأة إلى مركز قيادة. الشاشات الصغيرة التي كانت تراقبني أصبحت الآن مرآة لمعركة أكبر، لكل مراقب أثر، لكل صوت صدى،

لكل حركة تأثير.
فتحت ملفًا إلكترونيًا على أحد الأجهزة، وشعرت بالصدمة —
آلاف الملفات، آلاف الأسرار، صور، مكالمات، رسائل، وكل شيء عن كل من تحكم في حياتي منذ البداية.
ابتسمت ابتسامة قاتلة،
— كل شيء أصبح تحت يدي الآن... قلت بصوت هادئ،
— كل من لعب ضدي، سيشعر بما شعرت أنا به.
الظل الذي كان يقف بجانبي منذ البداية لاحظ التحول في طاقتي،
— أنتِ... همس، — لم أعد أعلم إن كنتِ مجرد إنسانة أم قوة خارقة.
لم أنتظر الرد، بدأت بالضغط على الملفات واحدة تلو الأخرى، وكلما فتحت ملفًا، كلما شعرت بالقوة تتدفق.

ـــ الآن... قلت، ـــ الوقت قد حان للانقضاض على كل من تجرأ على السيطرة.

الشاشات اهتزت فجأة، وظهرت وجوه المراقبين، كلهم، كل واحد منهم يمثل فصلًا من لعبته القذرة.

ـــ مرحبًا بكِ في اللحظة الحاسمة... قال أحدهم، صوته مليء بالغرور، ـــ أعتقد أنك لم تتخيلي ما سيحدث بعد الآن.
ابتسمت وأنا أشعر بهدوء غريب،

ـــ لقد انتظرت هذه اللحظة منذ البداية، قلت، ـــ وكل ثانية من حياتي، وكل اختبار، وكل انهيار، كان تدريبًا لهذه اللحظة فقط.
بدأت العملية:
أغلقت كل أنظمة المراقبة تدريجيًا، واحدة تلو الأخرى، حتى أصبحوا بلا أي وسيلة للتحكم.
ـــ المفاجأة، قلت، ـــ لم أكن مجرد ضحية... كنتُ المحرك الحقيقي لكل شيء.

الظل حاول التدخل، لكنه وجد أن كل تحركاته محسوبة مسبقًا، كل خططه معكوسة ضدي.
ابتسمت ابتسامة النصر،

ـــ اللعبة لم تنته بعد... همس

ـــ لكنكِ الآن أقرب من أي وقت مضى لتصبحين اللاعب الوحيد.
في تلك اللحظة، شعرت بانفجار داخلي، كل الطاقة المكبوتة، كل لحظة ضعف، كل اختبار صار قوة هائلة،

ـــ أنا الآن الصيادة، قلت
ـــ وكل من تجرأ على اللعب ضدي... لن ينجو.
الشاشات اهتزت مرة أخرى، هذه المرة مع صوت تحذير عالي، لكنني لم أشعر بالخوف.
ـــ كل شيء محسوب... قلت لنفسي
ـــ وأنا الآن سأعيد كتابة كل القواعد.
بدأت تظهر رسائل تحذير على الأجهزة، كل مراقب يحاول الهروب، كل من ظن أنه الأقوى، الآن تحت سيطرتي.
ـــ اللعبة لم تعد لعبة، قلت بصوت عميق،
ـــ هذه هي السيطرة الحقيقية، وهذه هي اللحظة التي كنت أنتظرها منذ البداية.
في الخارج، المدينة صامتة، المبنى القديم يئن تحت وقع خطواتي، وكل شيء حولي أصبح مسرحًا للمواجهة النهائية.
ـــ كل شيء سينكشف،
قلت
ـــ كل سر، كل خيانة، كل خدعة... كل شيء سيكون تحت النور الآن.
الظل ابتسم ابتسامة أخيرة،
ـــ يبدو أنك تعلمتِ اللعبة بأكملها... قال

ـــ لكن لن تكون النهاية كما تتوقعين.
ابتسمت، شعرت بالحرية لأول مرة، قوة حقيقية تتدفق في عروقي،
ـــ النهاية؟ قلت
ـــ النهاية سأكتبها أنا... وكل من لعب ضدي سيعرف ما معنى القوة الحقيقية.
الفصل الثالث والعشرون
ـ كشف الأسرار والانهيار الكبير للشبكة
كلما ضغطت على الملفات، كلما انفتحت أمامي طبقات أعمق من اللعبة القذرة.
صور ورسائل، مكالمات مسجلة، وثائق سرية... كل شيء عن كل شخص تجرأ على السيطرة عليّ.
الأسماء بدأت تتقاطع، كل خيانة تتضح، وكل تحالفات سرية تنكشف في ثانية واحدة.
كنت أشعر بالإثارة تتدفق في عروقي،
ـــ هذا هو الوقت... الوقت الذي سيهتز فيه كل شيء... همست لنفسي.
الظل كان يقف خلفي، صامت لأول مرة، يحاول أن يواكب ما يحدث.
ـــ لم أتوقع أن تكوني بهذه القوة... قال أخيرًا، صوته متلعثم قليلًا.
ولكن لم يكن هناك مجال للرحمة، لم يعد هناك وقت للخوف.
بدأت أجهزة المراقبة تنهار واحدة تلو الأخرى، كل محاولة للسيطرة مني أو من أي طرف آخر كانت فاشلة.

— كل شيء تحت سيطرتي الآن...
قلت
— وكل من تجرأ على اللعب ضدي سيشعر بما شعرت أنا به.
وبينما كنت أغوص أكثر في الملفات، اكتشفت أسرارًا لم أكن أتخيلها.
خيانة من أقرب حلفائي، خطط سرية لإسقاطي منذ البداية، وكل خدعة كانت محسوبة لتجعلني أبدو ضعيفة...

ابتسمت ابتسامة مرعبة،
— كل شيء سينكشف الآن، قلت
— والمدينة كلها، وكل من تحكم في حياتي، سيعرفون الحقيقة.
الأجهزة تصدر أصوات تحذير عالية، تحاول الشبكة مقاومتي، لكن كل شيء أصبح بلا جدوى.
الأسماء التي كانت تسيطر على اللعبة أصبحت بلا قوة، كل شيء ينهار أمامي، وكل ورقة كانت سرية تتساقط على الشاشة مثل سقوط القناع عن وجه كل خائن.
في تلك اللحظة، شعرت بالقوة المطلقة تتدفق في جسدي.
— أنا لم أعد الضحية
قلت ...
— أنا الآن المحرك، الصيادة، الحاكمة على كل شيء.

الظل حاول التحرك مرة أخيرة، لكنه وجد نفسه محاصرًا، كل خطوة كانت محسوبة ضده، كل خطة من خططه كانت تنقلب لصالح السيطرة المطلقة التي امتلكتها الآن.
الأصوات في المبنى بدأت ترتفع، صراخ من كان يحاول الهرب، أصوات أجهزة تشتعل، ووميض شاشات يملأ الغرفة بضوء غريب ومرعب.
— هذا هو الانهيار الكبير... قلت لنفسي
— كل شيء سينكشف، وكل من ظن أنه الأقوى، سيعرف الآن ما معنى القوة الحقيقية.
وأخيرًا، بعد ضغط زر واحد،
انهارت الشبكة بالكامل، الملفات المسربة انتشرت، الأسرار التي تم الاحتفاظ بها طويلاً أصبحت مكشوفة للعالم كله.
— هذه هي النهاية الحقيقية... قلت
— والآن لن يستطيع أحد اللعب ضدي مرة أخرى.

الظل نظر إليّ، صامتًا، وابتسم ابتسامة خفية، وكأنه يقول: "لقد نجحتِ... لكن الطريق مازال طويلًا".
ابتسمت، شعرت بالتحرر، شعرت بالقوة، شعرت بالإثارة التي لم أشعر بها طوال حياتي...
— هذه ليست النهاية... قلت بصوت هادئ
— هذه البداية الحقيقية.

الفصل الرابع والعشرون المواجهة الكبرى والصدام النهائي

المدينة كلها كانت صامتة، كأنها تعرف أن اليوم سيشهد النهاية أو الانفجار الكبير.
كنت أقف في الغرفة المظلمة، أراقب كل تحركات الخصوم، كل خطوة محسوبة، كل نفس مسموع.

الظل بجانبي، صامت هذه المرة، لكن عينيه تكشف عن القلق، لم يعد يمتلك أي أوراق للتلاعب.

— كل شيء انتهى، قلت
— وكل من ظن أنه يمكنه السيطرة عليّ، سيعرف معنى الخسارة الآن.
الهواتف بدأت ترن، الرسائل تصل بسرعة جنونية، كل الملفات المسربة التي أطلقتها قبل قليل تتفاعل مع بعضها، كل شخص مرتبط بالشبكة أصبح تحت الضغط، وكل خطة مضادة تنهار أمامي كما تنهار القلاع على الرمال.

وفجأة، ظهر خصمي الأكبر، الشخص الذي كان يختبئ في الظلال منذ البداية، ابتسامة باردة على وجهه، وعيون مليئة بالتحدي.
— اعتقدت أنك تستطيعين اللعب بمفردك؟
قال بصوت ساخر
— لقد كنتِ دائمًا جزءًا من اللعبة... وأنا من يحدد قواعدها.
ابتسمت ابتسامة مرعبة، لم أعد أخاف، لم أعد ضحية.
— القواعد تغيرت...

قلت، ـــ وهذه المرة أنا من يكتبها.
بدأنا لعبة القط والفأر، كل منا يحاول التلاعب بالآخر، كل خطوة محسوبة بعناية،
كل كلمة تهدف لإظهار القوة والسيطرة.
الملفات، الرسائل، المكالمات... كل شيء كان سلاحًا، كل معلومات أصبحت رصاصة دقيقة تصيب هدفها بلا رحمة.

وفجأة، حدث الانفجار الكبير.
شبكة الاتصالات انهارت، الأنظمة الأمنية تعطلت، وكل من كان يراقبنا أصبح عاريًا أمام الحقيقة.

ـــ هذه هي النهاية، قلت في داخلي
ـــ أو بداية النهاية.
المواجهة لم تكن جسدية فقط، بل كانت ذهنية، كل منا يحاول قراءة الآخر، توقع الخطوة القادمة، والتفوق بالذكاء والدهاء.
الظل حاول التدخل، لكنني كنت أسرع، أكثر ذكاء، وأكثر استعدادًا لكل شيء.
وفي اللحظة التي ظن فيها خصمي أنه سيقلب الطاولة ضدي، قلبت أنا المشهد بالكامل.
كل خطة، كل خدعة، كل لعبة اختباء، كلها انهارت أمامي.
ـــ انتهى وقتك... قلت بصوت هادئ ومرعب، ـــ والآن ستدفع ثمن كل شيء.

المدينة شعرت بالصدمة، كل من كان جزءًا من اللعبة شعر بالزلزال، ليس فقط في الأجهزة، بل في الحقيقة التي كشفتها، في القوة التي أظهرتها،
في السيطرة التي امتلكتها الآن.
وفجأة، ساد الصمت مرة أخرى، صمت ثقيل، مليء بالإثارة والرهبة.

— هذه ليست النهاية... قلت لنفسي
— هذه البداية الحقيقية للتحكم، للسيطرة، ولإثبات من هو الأقوى بالفعل.

الفصل الخامس والعشرون

ما بعد الانتصار الوهمي

لم يكن الصمت الذي عمّ المدينة صمتَ انتصار.
كان صمتَ شيءٍ ينتظر أن ينفجر.
بعد انهيار الشبكة، بعد تسريب الملفات، بعد سقوط الوجوه واحدًا تلو الآخر... توقعت أن أشعر بالراحة.
لكن الذي شعرت به كان مختلفًا.
فراغ.
فراغ بارد، يشبه اللحظة التي تعقب إطلاق النار.
كنت أراقب الشاشات أمامي.
الأخبار بدأت تنتشر.
أسماء كبيرة تُذكر.
فضائح تُكشف.
مؤسسات تهتز.
الناس في الخارج يظنون أن الحقيقة ظهرت.
لكنني...
كنت أعرف أن الحقيقة لم تبدأ بعد.
الظل لم يكن مبتسمًا.
قال بصوت منخفض:
— غريب.
نظرت إليه.
— ماذا؟
اقترب من إحدى الشاشات.
كبّر ملفًا معينًا.
توقفت أنفاسي.
ملف... لم أفتحه أنا.

بتوقيع رقمي... باسمي.
لكن التوقيت؟
كان قبل ساعات... بينما كنت معه.
— مستحيل، همست.
فتحناه.
كانت هناك تحويلات.
رسائل.
تعليمات صريحة.
وكأنني...
أنا من أدرت العملية كلها منذ البداية.
وكأنني...
أنا العقل المدبر.
ارتجفت يدي لأول مرة منذ شهور.
— هذه ليست بصمتي، قلت بحدة.
رد الظل بهدوء مخيف:
— لكنها بصمتك البيومترية.
شيء ما بدأ يتصدع داخلي.
هل كنت أتحرك بإرادتي فعلًا؟
أم أنني كنت أتحرك داخل مسار مرسوم لي؟
تذكرت اللحظات الأولى.
الحادث.
الانهيار.
الغضب.
التحول.

كل خطوة بدت وكأنها نتيجة طبيعية.
لكن ماذا لو...
لم تكن طبيعية؟

ظهر إشعار جديد على الشاشة.
"المرحلة الثانية تبدأ الآن."
لم يكن هناك مرسل.
فقط رمز.
رمز رأيته من قبل.
في مكان لم أستوعبه حينها.
في ملف قديم...
في خلفية صورة...
في غرفة التحقيق الأولى.
الطرف الثالث.
لكن... ليس هو وحده.
رن الهاتف.
رقم مجهول.
فتحت الخط.
صوت هادئ... مألوف بشكل مرعب.
— مبروك.
تجمد الدم في عروقي.
— من أنت؟
ضحكة قصيرة.
— أنتِ تعتقدين أنك أسقطتِ الشبكة.

لكن ما فعلتِه هو... تفعيلها.
انقبض صدري.
ـــ ماذا تقصد؟
ـــ كنا بحاجة لشخص مثلك.
شخص لديه الدافع.
الذكاء.
الغضب الكافي.
والقابلية للانكسار.
شعرت بأن الأرض تميد تحت قدمي.
ـــ كنتِ التجربة المثالية.
أغلقت الخط.
لكن الكلمات لم تُغلق.
الظل كان يراقبني.
ـــ يبدو أننا لم نكن اللاعبين الوحيدين.
نظرت إليه.
لأول مرة...
لم أكن واثقة أنه في صفي.
ـــ هل كنت تعرف؟
لم يجب.
وصمته كان أخطر من أي اعتراف.
المدينة في الخارج بدأت تغلي.
المظاهرات.
الاعتقالات.
الفوضى.

لكن داخل النظام...
كانت طبقة جديدة تُبنى.
الملفات التي سرّبتها لم تدمر الشبكة.
بل أعادت ترتيبها.
الأسماء القديمة سقطت.
لكن أماكنهم؟
امتلأت بسرعة.
بوجوه جديدة.
أكثر قسوة.
أكثر ذكاء.
وأكثر حرصًا على ألا يكرروا أخطاء من سبقهم.
جلست وحدي في الغرفة.
نظرت إلى انعكاسي على الشاشة السوداء.
سألت نفسي السؤال الذي كنت أهرب منه منذ البداية:
هل أنا شيطان فعلًا؟
أم مجرد إنسانة تم دفعها خطوة خطوة نحو الظلام؟
وإذا كنت إنسانة...
فمن الذي صنع مني هذا الكيان؟
ظهر إشعار أخير

“مرحبًا بكِ في المستوى الحقيقي.”
مع إحداثيات.
موقع جديد.
مرحلة جديدة.

لعبة لم تبدأ بعد.
رفعت رأسي.
الانتصار كان وهمًا.
والحرب الحقيقية...
تبدأ الآن.

الفصل السادس والعشرون

من أيقظ الشيطان؟

الإحداثيات قادتني إلى أطراف المدينة.
منطقة صناعية مهجورة...
مخازن ضخمة صامتة، وأسلاك شائكة، وكاميرات لا تتحرك
لكنها ترى كل شيء.
الجو كان ثقيلًا.
ليس خوفًا... بل إحساس بأن المكان يعرفني.
الظل سار خلفي، لكن خطواته هذه المرة لم تكن واثقة.
— إن كان هذا فخًا... قال بهدوء.
قاطعته:
— فهو فخ أعرف أنني سأدخل إليه.
الباب المعدني انفتح قبل أن ألمسه.
كأنهم كانوا ينتظرون.
المكان في الداخل لم يكن مهجورًا.
على العكس.
ممر طويل مضاء بإضاءة بيضاء باردة.
جدران زجاجية.
أجهزة.
غرف مراقبة.
كل شيء منظم.
هادئ.
مرعب.
وفي نهاية الممر...
كان هو.
يجلس بهدوء أمام طاولة زجاجية.

لا حراس.
لا سلاح ظاهر.
لا توتر.
رجل في منتصف الخمسينات.
ملامحه عادية حدّ الاختفاء.
وهذا ما جعله مخيفًا.
رفع عينيه نحوي.
ابتسم.
— أخيرًا.
توقفت أمامه مباشرة.
لم أجلس.
— أنت العقل المدبر.
أومأ بهدوء.
— تسمية درامية... لكن نعم، يمكننا قول ذلك.
كان صوته مستقرًا بشكل مزعج.
— هل تعلمين ما يميزك عن البقية؟
لم أجب.
— لم تنهاري.
ضحكة قصيرة خرجت مني.
— هذا ما تظنه.
نظر إلى شاشة بجانبه.
ظهرت صور...
لي.
في الحادث.

في التحقيق.
في أول لحظة انهيار.
في أول قرار انتقام.
كل لحظة.
— كنا نراقبك منذ اليوم الأول، قال بهدوء.
— اخترناك بعناية.
شعرت بالغضب يتصاعد.
— اخترتموني لماذا؟ لتدمير حياتي؟
هز رأسه.
— لتطويرها.
اقتربت خطوة.
— أنتم صنعتم مني وحشًا.
نظر إليّ مباشرة في عينيّ.
— لا.
نحن فقط أزلنا القيود.
الوحش كان موجودًا.
صمت ثقيل سقط بيننا.
أكمل:
— البشر لديهم وهم جميل... أنهم طيبون بطبيعتهم.
لكن تحت الضغط... يظهر الأصل.
وأنتم ضغطتم عليّ.
— نعم.
قالها بلا ذرة ندم.
الظل تحرك أخيرًا.

— هذا جنون.
الرجل نظر إليه باهتمام.
— أنت كنت جزءًا من التجربة أيضًا.
تجمد الظل.
التفتُّ إليه ببطء.
— ماذا؟
الرجل ابتسم.
— هو لم يكن مجرد مساعد.
كان عنصر توجيه.
شعرت كأن الأرض اختفت.
نظرت إلى الظل.
ملامحه لم تنكر.
لم تؤكد.
فقط... صمت.
هل كنت تعرف؟ سألتُه.
رد بصوت منخفض:
— لم أعرف كل شيء.
ضحك الرجل الجالس.
— لكنك وافقت.
انفجر الصمت.
انفجرت داخلي أشياء كثيرة.
الغضب.
الخيانة.
الشك.

لكن... وسط كل ذلك...
كان هناك شيء آخر.
وضوح.
عدت أنظر إلى الرجل.
ما الهدف ؟
أجاب بلا تردد:
— بناء جيل جديد من القادة.
أشخاص مروا بالانهيار...
وتجاوزوه.
أشخاص لا يخافون الظلام لأنهم عاشوه.
— عن طريق تدميرهم؟
— عن طريق كشفهم.
اقتربت من الطاولة.
وضعت يدي عليها.
— إذن أنا مشروع.
— كنتِ مشروعًا.
— و الآن؟
ابتسم ابتسامة أعمق.
— الآن أنتِ نتيجة.
أخرج جهازًا صغيرًا.
وضعه أمامي.
— هذا يحتوي على كل البيانات.
كل المراحل.
كل الأسماء.

كل من خضع للتجربة مثلك.
توقفت أنفاسي.
— لست وحدي؟
— أبدًا.
— ولماذا تواجهني الآن؟ سألته.
— لأنكِ وصلتِ للمرحلة الأخيرة.
إما أن تنضمي...
أو تحاولي إسقاط كل شيء.
رفع نظره نحوي بثبات.
— لكن اعلمي...
إن أسقطتِنا، ستسقطين أنتِ أيضًا.
كل ما بنيته...
سيتحول إلى جريمة مكتملة.
كانت هذه اللحظة.
ليس صراع قوة.
بل صراع هوية.
هل أنا ضحية؟
أم شريكة؟
هل أفضحهم... وأفضح نفسي؟
أم أستلم مكاني بينهم؟
نظرت إلى الظل.
كان ينتظر قراري.
الرجل كان واثقًا أنني سأفكر بعقلانية.
لكنه لا يعرف شيئًا واحدًا.

أنا لم أعد تلك الفتاة التي يمكن توقعها.
أمسكت الجهاز.
ابتسمت.
— قل لي...
هل حسبتم احتمالية أن أخلق لعبة في بالكامل؟
لأول مرة...
اهتزت ابتسامته.
انتهى اللقاء...
لكن الحرب لم تنتهِ.
الآن أنا أعرف:
لست الوحيدة.
الظل ليس بريئًا.
المشروع أكبر من شبكة.
والاختيار... سيحدد من أكون فعلًا.

الفصل السابع والعشرون

حين يسقط الحليف

لم أتكلم طوال الطريق.
هو أيضًا لم يفعل.
السيارة كانت تشقّ المدينة بصمت ثقيل، وكأن الشوارع نفسها تتجنب النظر إلينا.
كل إشارة حمراء بدت أطول من المعتاد.
كل انعكاس على الزجاج كان يحمل سؤالًا لم أجرؤ على نطقه.
حين وصلنا إلى الشقة، أغلقت الباب خلفنا ببطء.
لم أخلع معطفي.
لم أجلس.
استدرت إليه.
— منذ متى؟
لم يتظاهر بالجهل.
— منذ البداية... لكن ليس كما تظنين.
ضحكت.
ضحكة قصيرة، متكسرة.
— لا تقل لي "ليس كما تظنين". هذه الجملة اخترعها الخونة.
اقترب خطوة.
— لم أكن أتحكم فيكِ. كنت أراقب فقط.
— تراقب ماذا؟ انهياري؟ تحولي؟ غضبي؟
سكت.
وهذا الصمت... كان اعترافًا.
— هل كنت تعرف عن الحادث؟
ارتجف فكه.

— لا.
— هل كنت تعرف أنهم يختبرونني؟
— نعم.
الكلمة خرجت ببطء... لكنها خرجت.
شعرت كأن شيئًا حادًا انغرس في صدري.
— ووافقت؟
رفع صوته لأول مرة:
— وافقت لأنني رأيت ما لم تريه أنتِ!
تجمدت.
— رأيت قوة... إمكانات... عقلًا لا يشبه أحدًا.
كانوا سيجدون غيرك إن لم أقبل. على الأقل كنت أستطيع حمايتك من الداخل.
اقتربت منه حتى لم تعد بيننا مسافة.
— حمايتي؟
أنت كنت تسلّمهم تقارير عن حالتي النفسية.
لم ينكر.
— كنت أعدلها. كنت أخفف. كنت أوقف مراحل كاملة.
— لكنك لم توقف كل شيء.
صوته انخفض:
— لم أستطع.
الصمت تمدد بيننا كهاوية.
نظرت إليه طويلاً.
هذا الرجل الذي وقف معي في كل لحظة.
الذي رأى دموعي.

الذي حملني حين انهرت.
الذي قال إنني لست وحدي.
هل كان يمثل؟
أم كان يعيش صراعًا حقيقيًا؟
— هل كان شعورك نحوي حقيقيًا؟ سألت بهدوء أخطر من الصراخ.
لم يتردد.
— نعم.
— منذ متى؟
— منذ اللحظة التي بدأتِ فيها تتغيرين خارج المخطط.
ارتجفت أنفاسي.
— ماذا يعني هذا؟
— يعني أنكِ توقفتِ عن أن تكوني تجربة... وأصبحتِ أنتِ.
ابتعدت عنه.
المشكلة لم تكن أنه خانني فقط.
المشكلة أنه أحبني وهو يخونني.
وذلك يجعل الخيانة أعقد... وأقسى.
— كنتَ تراقبني وأنا أتحول إلى شيء مظلم.
— كنت أراكِ تكتشفين نفسك.
— لم أطلب هذا الاكتشاف!
— لكنك احتجته.
صفعته.
لم أكن أنوي.
لكن يدي سبقتني.

الصوت كان واضحًا في الغرفة الصامتة.
لم يرد.
فقط نظر إليّ... بعينين ممتلئتين بشيء يشبه الألم الحقيقي.
— أنت لا تفهم، قلت بصوت مكسور.
— أنا لم أعد أعرف إن كان الشر الذي بداخلي اختياري... أم صناعتكم.
اقترب ببطء.
— كل ما فعلوه هو إزالة الخوف.
الباقي... كان قرارك.
— إذن أنا مذنبة؟
— أنتِ مسؤولة.
الكلمة سقطت كحكم.
تراجعت خطوة.
— هل ما زلت تعمل معهم؟
صمت.
وهذا الصمت كان الإجابة.
إذن اختر، قلت بوضوح.
— إما أنا... أو المشروع.
نظر إليّ طويلًا.
طويلًا جدًا.
كنت أرى الصراع في عينيه.
الولاء القديم.
الإيمان بالفكرة.
ومشاعره نحوي.

— إن اخترتك... سأصبح مطاردًا.
— وأنا أصبحت ماذا؟
وأنا أصبحت ماذا؟
أغمض عينيه.
— أنتِ أصبحتِ أخطر منهم جميعًا
— اسمعيني جيدًا... إن قررتِ إسقاطهم، لن يكون هناك طريق عودة.
سيحرقون كل شيء.
اسمك.
ماضيك.
حتى ذاكرتك إن استطاعوا.
همست:
— لقد حرقوا كل شيء بالفعل.
سقطت دمعة لم أتوقعها.
ليس ضعفًا.
بل حزنًا على ما كان يمكن أن يكون.
— كنت أحتاج أن يكون هناك شخص واحد حقيقي في كل هذا، قلت.
رد بصوت مبحوح:
— كنت حقيقيًا.
— لكنك لم تكن صادقًا.
تراجع ببطء.
— لن أؤذيك.
— لكنك آذيتني بالفعل.

صمت طويل.
ثم قال:
— إن قررتِ الحرب... سأعترض طريقك.
تجمدت.
— لأنني أعرفهم.
وأعرف ماذا يمكن أن يفعلوا بكِ.
نظرت إليه بثبات.
— وأنا أعرف الآن ماذا يمكن أن أفعل أنا.
اقتربت من الباب.
توقفت قبل أن أخرج.
— آخر سؤال.
لم يجب.
— عندما كنت تنظر إليّ... هل كنت ترى تجربة ناجحة؟
صوته جاء خافتًا:
—
كنت أرى امرأة لم يفهم العالم كيف يحتويها.
خرجت.
والهواء البارد صفع وجهي.
الحب لم يمت.
لكنه لم يعد كافيًا.
الآن...
لم يعد الصراع بيني وبين المشروع فقط.
بل بيني وبينه.
وبين قلبي... وعقلي.

الفصل الثامن والعشرون

الطلقة التي لم تُخطئ

لم أعد إلى الشقة.
كنت أعرف أنهم يراقبون كل مكان اعتدته.
المشروع لا يترك الفوضى دون رد.
وتمردي لم يكن مجرد خطأ إداري... بل إعلان حرب.
المدينة في الليل بدت مختلفة.
أكثر توترًا.
أكثر وعيًا.
كنت أمشي بسرعة ثابتة، أراجع كل زاوية، كل انعكاس زجاج، كل ظل يتحرك أطول من اللازم.
الهاتف في جيبي اهتز.
رسالة واحدة.
"كان بإمكانك أن تبقي آمنة."
لم يكن هناك رقم.
حذفتها دون رد.
دخلت موقف سيارات متعدد الطوابق.
مكان مؤقت.
مفتوح.
سهل الهروب.
أو هكذا ظننت.
صوت خطوات خلفي.
توقفت.
صوت محرك اشتعل فجأة في الطابق العلوي.
ثم آخر.
فهمت الرسالة.

ليست مفاوضة.
تنفيذ.
ظهر رجل من بين الأعمدة الخرسانية.
ملامحه عادية حد الاختفاء.
نفس المدرسة.
ليس انفعالًا.
ليس غضبًا.
احتراف.
قال بهدوء:
ـــ آسف.
لم يكن سؤالًا.
رأيت البريق المعدني في يده.
سلاح مزود بكاتم صوت.
المشروع لا يترك ضجيجًا.
ركضت قبل أن يُكمل رفع ذراعه.
الطلقة الأولى اخترقت العمود خلفي.
الصوت كان خافتًا... لكنه نهائي.
لم يكن وحده.
اثنان آخران ظهرا من جهتين مختلفتين.
إغلاق هندسي.
كنت أعرف هذا الأسلوب.
مدرَّب.
مخطط.
نظيف.

لم يريدوا رسالة.
أرادوا جثة.
اختبأت خلف سيارة.
تنفسي سريع... لكن عقلي هادئ بشكل غريب.
هذه ليست المرة الأولى التي أُحاصر فيها.
لكنها المرة الأولى التي أُستهدف فيها رسميًا.
هذا يعني شيئًا واحدًا:
أنا لم أعد أداة.
أنا تهديد.
سمعت أحدهم يقترب.
ببطء محسوب.
لا تعجل.
لا خطأ.
استدرت فجأة من الجانب الآخر للسيارة، دفعت الباب بقوة في اتجاهه.
اختل توازنه لحظة.
كانت كافية.
سقط سلاحه.
ركلته بعيدًا.
لكن الطلقة الثانية جاءت أسرع مما توقعت.
حرارة حادة شقت ذراعي.
لم أشعر بالألم فورًا.
فقط بالصدمة.
نظرت إلى الدم.

ليس كثيرًا.
لكن كافٍ.
— لا نريد إيذاءك إن توقفتِ، قال أحدهم.
ضحكت.
— هذا ليس عرضًا.
قفزت نحو درج الطوارئ.
ركضت صعودًا.
الطلقات تتبعني.
أصوات أقدام خلفي.
الدم بدأ يثقل ذراعي.
لكن الخوف؟
لم يكن موجودًا.
كان هناك شيء آخر.
وضوح.
الآن فهمت.
الإنسان لا يعرف حقيقته إلا حين يُقرر أحدهم أنه يجب أن يموت.
وصلت إلى السطح.
خطأ.
مكان مكشوف.
الريح قوية.
الأضواء أسفل مني بعيدة.
لا مخارج أخرى.
ظهروا خلفي.

ثلاثة.
منظمون.
باردون.
— انتهى الأمر، قال الأول.
نظرت حولي.
لا مفر.
إلا إن...
ابتسمت.
أنتم لا تعرفون شيئًا عني، قلت.
ضغط أحدهم على جهاز في أذنه.
— الهدف على السطح. التنفيذ الآن.
في تلك اللحظة...
انفجار.
ليس كبيرًا.
لكن كافٍ ليطفئ الأضواء في المبنى بأكمله.
ظلام.
صرخ أحدهم.
كنت قد لاحظت صندوق الكهرباء عند صعودي.
ضربته بقطعة معدنية أثناء اندفاعي.
المدينة أصبحت كتلة ظل.
وأنا أعرف الظل جيدًا.
تحركت بسرعة.
ضربت الأول في ركبته.
الثاني في حلقه.

الثالث أطلق النار عشوائيًا.
الطلقة مرت قرب أذني.
لكنني كنت أسرع الآن.
ليس خوفًا.
بل قرار.
سقطوا.
ليس موتًا.
تعطيلًا.
أنا لست قاتلة... بعد.
سمعت صوتًا خلفي.
صوت أعرفه.
— توقفي.
التفت.
هو.
الظل.
كان يحمل سلاحًا.
لكن لم يكن موجّهًا إليّ.
بل إلى الرجال الثلاثة.
— انسحبوا، قال ببرود.
— الأوامر واضحة، رد أحدهم.
— تغيرت، قال بهدوء أخطر من الطلقات.
صمت قصير.
ثم تراجعوا.
بسرعة.

كما جاءوا.
اختفوا.
بقينا وحدنا.
الريح تعصف. Up
الدم يسيل ببطء على ذراعي.
نظرت إليه.
— أهذا إنقاذ... أم تأجيل؟
قال بصوت منخفض:
— قرار الإعدام لم يصدر من الأعلى بعد.
كان اختبارًا.
شعرت بالغثيان.
حتى محاولة اغتيالي... تجربة.
— وهل نجحت؟
نظر إليّ طويلًا.
— أكثر مما يجب.
اقترب.
حاول لمس ذراعي.
تراجعت.
— لا.
اقترب.
حاول لمس ذراعي.
تراجعت.
— لا.
صمت.

ـــ كنت سأمنعها.
ـــ لكنها حدثت.
قال بصدق موجع:
ـــ الآن لا يمكنني حمايتك.
أجبته بهدوء بارد:
ـــ لم أعد أريد حماية.
المدينة عادت أضواؤها تدريجيًا.
لكن شيئًا في داخلي انطفأ.
لم يعودوا يهددونني فقط.
بل حاولوا قتلي.
وهذا يغيّر القواعد.
تمامًا.

الفصل التاسع والعشرون

الأمر الذي صدر من الداخل لم أنم.

الجرح في ذراعي كان سطحيًا، لكن الألم الحقيقي لم يكن هناك.
كان في السؤال.
من أعطى الأمر؟
محاولة الاغتيال لم تكن ارتجالًا.
كانت عملية منظمة، مصدّق عليها، مع توقيع واضح.
والظل قال شيئًا واحدًا خطيرًا:
"قرار الإعدام لم يصدر من الأعلى بعد."
إذن...
شخص ما تجرأ وأصدره دون موافقة كاملة.
وهذا يعني تمردًا داخل المشروع.
أو تصفية شخصية.
جلست أمام الحاسوب المحمول في مكان مؤقت.
لم أعد أستخدم شقتي.
لم أعد أثق بالجدران.
الملفات التي سرقتها من قبل كانت تحتوي على هيكل إداري للمشروع.
أسماء رمزية.
مستويات صلاحيات.
دوائر مغلقة.
بحثت عن العمليات التي نُفذت خلال الساعات الماضية.
وجدتها.
اسم العملية:
"تنظيف غير معتمد".
غير معتمد.

هذا ليس إجراء رسمي.
هذا تنفيذ شخصي.
تتبعت سلسلة الأوامر.
سطر بعد سطر.
توقيع رقمي.
مشفر.
لكنني أعرف هذا النوع من التشفير.
رأيته من قبل.
ليس في ملفات المشروع.
بل في مكان أبسط.
أقرب.
أكثر عادية.
فتحت ملفًا قديمًا.
ملفًا احتفظت به منذ بداية عملي في الشركة.
إيميلات داخلية.
نفس نمط التوقيع.
نفس البصمة الرقمية.
تجمدت أصابعي.
لا
لا يمكن.
اسم المستخدم ظهر أمامي بعد فك التشفير:
"L-17"
رمز إداري داخلي.
لكنني أعرف من يستخدم هذا الرمز.

أعرفه جيدًا.
لأنني كنت أرسل له تقارير يومية.
مديري.
الرجل الذي منحني أول ترقية.
الذي دافع عني في أول أزمة.
الذي قال لي يومًا:
"أنتِ مختلفة. المشروع يحتاج عقلاً مثلك."
شعرت بشيء بارد يهبط في صدري.
لم يكن المفاجأة.
بل الترتيب.
هو كان هناك منذ البداية.
أقرب مما ظننت.
تذكرت يوم مريم.
يوم قال لي بهدوء:
"المشروع يحتاج شخصية أقوى."
لم يكن يقصد مشروع الشركة.
كان يقصد المشروع الحقيقي.
وكنت أنا.
رنّ هاتفي.
رقم معروف.
اسمه ظهر على الشاشة.
لم أتردد.
— لماذا؟
سألت فور الرد.

صمت لثانيتين.
ثم قال بصوته الهادئ المعتاد:
ـــ كنتِ دائمًا سريعة.
ـــ لماذا أمرتَ بقتلي؟
تنهد.
ـــ لأنك تجاوزتِ الخط المسموح.
ـــ أي خط؟
ـــ خط الاستقلال.
ضحكت.
ضحكة قصيرة، خالية من المرح.
ـــ أنت كنتَ تراقبني منذ البداية.
ـــ لم أكن أراقبك فقط... كنت أُعدّك.
ـــ لِماذا؟
لأن المشروع يحتاج عقلًا يفهم الشر... دون أن يغرق فيه.
تصلب صوتي.
ـــ ومحاولة قتلي كانت جزءًا من الإعداد؟
ـــ كانت اختبار ولاء أخير.
ـــ بالرصاص؟
ـــ لو متِّ... لم تكوني مناسبة أصلًا.
الصمت بيننا أصبح أثقل من الرصاص.
ـــ أنت من صمّم حادث مريم؟
سألته.
لا. حادثها كان ضروريًا لتسريع استيقاظك.
ـــ استيقاظي إلى ماذا؟

— إلى حقيقتك.
ارتجفت أصابعي.
ليس خوفًا.
بل غضبًا نقيًا.
— أنت لعبتَ بحياة إنسانة.
— نحن نلعب بالبشر منذ عقود.
قالها ببساطة مرعبة.
— ولماذا الآن؟
— لأنك بدأتِ تفكرين بإسقاط المشروع... بدل قيادته.
. تجمدت
هو كان يتوقع أن أنضم.
أن أرتقي.
أن أكون جزءًا من القمة.
لا أن أتمرد.
— كان بإمكانك أن تكوني معي، قال بهدوء.
— كان بإمكاننا إعادة تشكيل كل شيء من الداخل.
— بقتل من نختلف معهم؟
— بإزالة الفوضى.
همست:
— أنت لا تريد العدالة.
— العدالة وهم. نحن نصنع التوازن.
شعرت بشيء ينكسر داخلي.
هذا الرجل...
كنت أثق به.

ليس كأب.
لكن كمرشد.
كشخص رأى إمكانياتي قبل أن أراها.
وهو الآن يعترف أنه كان يدفعني نحو الهاوية عمدًا.
— هل ما زال قرار قتلي قائمًا؟
سألته بهدوء.
— لا.
— لماذا؟
لأنك نجوتِ.
— هذا ليس سببًا كافيًا.
توقف لحظة.
ثم قال بصوت أقل برودة:
— ولأنني لا أريدك ميتة.
تجمدت أنفاسي.
— هذه ليست عاطفة، أضاف سريعًا.
— هذه استراتيجية.
— أنت تخاف مني الآن.
قلت.
ولأول مرة...
لم ينفِ.
— اسمعيني جيدًا، قال ببطء.
— هناك من فوقي لا يرى فيكِ سوى خطر.
— وأنا الوحيد الذي يمكنه تأجيل القرار.
— مقابل ماذا؟

ـــ تعالي إليّ.
ـــ كقطعة؟
ـــ كشريكة.
أغلقت عيني.
تذكرت الطلقات.
السطح.
الدم.
الرجل الذي قال "آسف" قبل أن يطلق النار.
كل ذلك بأمر منه.
فتحت عيني.
ـــ أنت لم تحاول قتلي لأنني خطر.
ـــ حاولت لأنني لم أعد أطيع.
صمت.
ثم قال بصوت منخفض جدًا:
ـــ صحيح.
انتهى الاتصال.
نظرت إلى الشاشة أمامي.
اسمه لا يزال محفوظًا.
لكنني الآن أراه بوضوح.
لم يكن مجرد مدير.
لم يكن مجرد عضو في المشروع.
هو أحد العقول المدبرة.
ليس الأعلى.
لكن من الدائرة الداخلية.

ومن أقرب الناس إليّ.
الهاتف اهتز مرة أخرى.
رسالة.
"إذا اخترتِ المواجهة... لن أستطيع حمايتك هذه المرة."
ابتسمت ببطء.
وأجبت:
"لم أعد أحتاج حماية."
الآن اللعبة تغيّرت.
لم أعد أقاتل منظمة مجهولة.
أقاتل شخصًا يعرفني.
يعرف نقاط ضعفي.
يعرف كيف أفكر.
ويعرف أنني لم أعد أهرب.
بل أقترب.

الفصل الثلاثون

الانتقام البارد

دخلت الغرفة بصمت، وكأن الجدران نفسها تتنفس بانتظار المواجهة.
الظل كان هناك، ينتظرني، عيناه تتلألأان بالثقة الزائفة، يظن أنه ما زال المسيطر.
ابتسمت ابتسامة بلا روح، باردة مثل الجليد، لم أتكلم، ولم أرفع يدي... كل شيء كان في نظراتي فقط.
عرفت أن كل خطوة، كل حركة، كل نفَس، ستكون أداة قتل صامتة.
جلس أمامي، مسترخٍ، يظن أن اللعبة ما زالت في يده.
لكن الحقيقة كانت مختلفة.
الأوراق كلها الآن في يدي.
كل مخطط، كل خدعة، كل تهديد... محسوب مسبقًا، والمفاجأة التي لم يكن يتوقعها... كانت انتقامي البارد.
ضغطت زرًا على الهاتف، وجهاز التتبع بدأ يرسل بيانات حركته مباشرة إلى السلطات الداخلية للمشروع.
ارتجف، لم يفهم ما حدث بعد، كل أفعاله السابقة الآن ضدّه.
ثم جاء الصوت الغامض من الخلف:
— كنتِ تعتقدين أنك وحدك... لكنك صرتِ أداة لا يُستهان بها.
ابتسمت بهدوء، لم أخف، لم أرتجف، لم أشعر بأي شفقة:
— دورك انتهى الآن.
هو حاول الحركة، لكنه وجد نفسه محاصرًا بخطة محكمة، كل مهرباته مسدودة، كل تهديداته بلا تأثير.

خرجت من الغرفة ببطء، خطواتي تتردد في الصمت، لم ألتفت للوراء.
عرفت أن كل شيء قد تغير.
ليس فقط لأنني نجوت، بل لأنني أصبحت من يقرر الآن.
في الخارج، المدينة كانت مظلمة، والمطر يتساقط بلا رحمة، لكنه بدا أقل شراسة من انتقامي.
ظللت أنظر إلى السماء الرمادية، أعلم أن الطريق لم ينتهِ بعد، وأن هناك من يراقب، من يخطط، من ينتظر اللحظة المناسبة ليتحداني مرة أخرى.
ابتسمت مرة أخرى، هذه المرة بابتسامة كاملة، بلا خوف، بلا شك، بلا تردد.
الانتقام كان باردًا... لكنه لم يكن النهاية.
كان بداية مرحلة جديدة، حيث كل خطوة سأخطوها ستكون محسوبة، وكل عدو سيكتشف سريعًا أنني لست مجرد قطعة على رقعة الشطرنج.
وفي الداخل، شعرت بشيء آخر، شعور لم يختبره أحد قبلي: القوة المطلقة، المصحوبة بالوعي الكامل... وإدراك أن أي تحرك خاطئ من الآخرين سيكون له ثمن... ثمن باهظ.

اللعبة الكبرى

محمود راضي جلال

لم يكن الحادث صدفة...

ولم تكن الرسائل مجرد تهديد.

حين تكتشف أن كل خطوة في حياتها كانت محسوبة منذ البداية، تدرك أنها لم تكن الضحية... بل جزءًا من لعبة أكبر، من شبكة خفية تحرّك الجميع كقطع شطرنج.

ملفات مشفّرة. ظل يراقب. منظمة تتحكم بالمصائر.

لكن حين تنقلب الأدوار... من يملك القرار؟

اللعبة الكبرى

حيث لا شيء يحدث بالصدفة... ولا أحد خارج الرقعة.

ياقوت
دار ياقوت للنشر والتوزيع الإلكتروني
تصميم: فاطمة محمد